المغرب العربي

في عهد عقبة بن نافع

دراسة تحليلية

الدكتورة نهلة شهاب أحمد

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المغرب العربي

في عهد عقبة بن نافع

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المغرب العربي

في عهد عقبة بن نافع

دراسة تحليلية

الدكتورة

نهله شهاب احمد

بسم الله الرحمن الرحيم

محفوظة جميع الحقوق للناشر

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٥٩٦ / ١٠ / ٢٠٠٢)

٩٥٦,٠٤١

أحم أحمد ، نهلة شهاب

المغرب العربي في عهد عقبة بن نافع : دراسة سياسية /

نهلة شهاب أحمد ـ اربد : دار الكتاب الثقافي، ٢٠٠٢

(...) ص

ر.أ. :(٢٥٩٦ / ١٠ / ٢٠٠٢)

الواصفات / التاريخ الإسلامي // المغرب العربي //

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر (٢٠٠٢/١٠/٢٤٦٧)

دار الكتاب الثقافي

للطباعة والنشر والتوزيع

الأردن / إربد

شارع إيدون إشارة الإسكان

تلفون

(٠٠٩٦٢-٢-٧٢٦١٦١٦)

فاكس

(٠٠٩٦٢-٢-٧٢٥٠٣٤٧)

ص .ب (٢١١-٦٢٠٣٤٧)

Dar Al-Ketab

PUBLISHERS

Irbid - Jordan

Tel:

(00962-2-7261616)

Fax:

(00962-2-7250347)

P. O. Box: (211-620347)

E-mail:

DarALketab@Excite.com

حقوق الطبع محفوظة © ٢٠٠١م. لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

دار المتنبي للنشر والتوزيع

الأردن – إربد – تلفاكس: (٧٢٦١٦١٦)

الشكر والتقدير

أود أن أسبل الشكر العميق لأستاذي الجليل الدكتور عبدالواحد ذنون طه، لما بذله من جهد كبير، وما تقدم به من توجيه وإرشادات قيّمة.

كما يطيب لي أن أتقدم بالشكر للأستاذ صلاح سليم لتفضله بترجمة خلاصة بحثي باللغة الانكليزية، وأشكر جميع العاملين في مكتبة المتحف بالموصل، ومكتبة كلية التربية بجامعة الموصل، والمكتبة المركزية بجامعة الموصل أيضاً، وإلى كل من أعانني في تسهيل مهمة البحث.

والله الموفق

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقدمة

تعد دراسة المغرب العربي – لاسيما البدايات الأولى للفتح – من المحاولات التي لا تخلو من صعوبة، نظراً للمشكلات التي تتخلل فتراتها التأريخية المتعاقبة، فهي زاخرة بالأحداث والتطورات التي تحتاج الى قدر كبير من الفهم والتحليل، وبخاصة فيما يتعلق بفترة ولايتي القائد عقبة بن نافع الأولى والثانية.

لم يندمج السكان المحليون لبلاد المغرب مع الأقوام الأجنبية التي وطئت بلادهم على الرغم من استقرارهم فيها فترات زمنية طويلة، كالرومان والوندال والبيزنطيين، ولهذا انسحب هذا الأمر منذ البداية على تعاملهم وعلاقاتهم مع العرب المسلمين، فعندما دخل هؤلاء بلادهم اعتقدوا بأن معاملتهم مثل معاملة الأقوام الأخرى التي سبقت قدومهم، فتصدوا لهم بمقاومة عنيفة لم يشهد لها العرب مثيلاً، فضلاً عما تعرضوا له من ظروف بيئية صعبة، بسبب تنوع التضاريس الطبيعية لاسيما المناطق الجبلية التي لم يألفوها في بيئتهم الصحراوية، ولكن بمرور الوقت نشأ في نفوس السكان المحليين اعجاب كبير بالعرب الفاتحين الذين كانوا يشبهونهم في امور كثيرة .وقد اطلع السكان المحليون شيئاً فشيئاً على طبيعة الرسالة الانسانية التي يحملها العرب فابتدأت نفوسهم تهوى الاسلام، فقد وجدوا في مبادئه المستقر الروحي والفكري الذي يخلصهم من الحيرة الدينية الفكرية التي كانت تتجاذبهم بها الوثنية وبقية المعتقدات الأخرى .ولقد دخل العرب المسلمون المغرب فاتحين محررين ومبشرين، فنقلوا معهم تعاليم الدين الاسلامي الحنيف المتمثلة بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ونقلوا الرسالة الاسلامية بلسان عربي الى قوم لايذكرون حرفاً من حروف اللغة العربية، فكانت هذه البداية، تتطلب تعليمهم اللغة العربية نطقاً وكتابة، وساعد تحقيق هذا الأمر ما وجده السكان المحليون في روح الاسلام السمحة من سمو ورفعة، وما وجدوه في تعاليمه من منطقية وموضوعية .

لقد كان فتح العرب للمغرب امتداداً طبيعياً لفتح مصر واستقرارهم فيها، لما للمغرب من أهمية كبيرة في علاقاته مع المشرق العربي، فقد ارتبط كلاهما بالآخر

ارتباطاً عضوياً وتأثر احدهما بالآخر تأثراً كبيراً، ووحدت بينهما الظروف السياسية والأهداف الاساسية لسياسة الدولة العربية الاسلامية في طرد النفوذ الأجنبي البيزنطي، وتوسيع رقعة الدولة، وكان نشر الدين الاسلامي هدفاً رسالياً، سواء زمن خلافة الراشدين أم الخلافة الأموية .ولقد نجح العرب في هذا، فلم يمض أقل من قرن واحد حتى اندمج المغاربة مع العرب لغوياً وفكرياً ودينياً، وصاروا جميعاً مسلمين يتحدثون بالعربية، ويبدعون بوساطتها فكرياً وثقافياً وفنياً، ويساهمون بشكل فاعل في الفتوحات العربية الاسلامية التي امتدت الى اوربا لاسيما في فتح بلاد الأندلس وجزر مالطة وصقلية وقبرص، وما نتج عن هذا الفتح من قيام حضارة عربية اسلامية ساهمت بصورة رئيسة في النهضة الأوربية الحديثة .

وتعد دراسة المغرب العربي في عهد القائد عقبة بن نافع الفهري، ودراسة اعماله وانجازاته مدخلاً أساسياً لفهم بدايات تلك الأحداث والتطورات فقد جاءت عملية اختياره من قبل الخلافة الأموية لهذه المهمة التاريخية الصعبة، نظراً لما يتمتع به من ميزات وخصائص ذاتية، ترجع الى كفاءته ومقدرته العسكرية، وشدة اخلاصه، وتفانيه في سبيل انجاز المهام والأهداف التي يؤمن بها، ولكونه معاصراً لأحداث المغرب العربي فترة طويلة تزيد على ربع قرن. فهو أول المساهمين في عمليات الفتح العربي الاسلامي منذ أن كان أحد قادة والي مصر عمرو بن العاص .ومن هنا كثرت الاشارات التاريخية اليه في مصادرنا الأولية، التي أفردت له مساحة مهمة، مشيرة الى اهميته ودوره في الفتح العربي الاسلامي للمغرب، ونشره للأسلام واللغة العربية .

ونجد حتى الوقت الحاضر اهتماماً كبيراً بعقبة وعهده في المغرب العربي، فثمة عدد من المؤرخين المعاصرين الذين اهتموا به واشاروا اليه اشارات دقيقة، ولكن هذه الشخصية -على ما يبدو- لم تنل العناية الكافية من البحث والتقصي. ورغبة في تقديم هذا الرمز التاريخي بحجمه الحقيقي، ولخطورة دوره التاريخي في المغرب أعدت هذه الدراسة للتعريف بانجازاته السياسية والعسكرية والادارية والعمرانية، في محاولة لكشف اللثام عن تاريخ المغرب العربي في ظل هذا القائد القدير .

لقد كتبت هذا البحث وفق منهج تحليلي لا يقتصر على سرد الأحداث والوقائع التاريخية وربطها، بل يحاول قدر الامكان مناقشتها، وتحليل اسبابها، استخلاص نتائجها

واثارها في ضوء المعلومات المتوافرة، وذلك لتقديم صورة واضحة تقترب من نسبية الحقيقة التاريخية، لأن البحث التاريخي السليم، هو البحث الذي يعتمد النقد والتمحيص، ومقارنة الروايات، وأخذ الرواية بحذر وروية بحيث تتآلف مع طبيعة المرحلة وتتداخل وتنسجم مع الحدث التاريخي.

وقد قسم البحث الى مقدمة وأربعة فصول :

وعني الفصل الأول بدراسة الأوضاع العامة للمغرب قبيل الفتح العربي الاسلامي من الناحية الجغرافية، فضلاً عن دراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وجرى البحث في الفصل الثاني عن المحاولات الأولى للفتح العربي الاسلامي للمغرب زمن الخلافة الراشدة في عهدي الخليفتين عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان – رضي الله عنهما – وفي زمن الخلافة الأموية في عهد الخليفة معاوية بن ابي سفيان.

وركز الفصل الثالث المتكون من أربعة مباحث على أولى ولايتي عقبة بن نافع للمغرب بين سنتي ٥٠-٥٥هـ/٦٧٠-٦٧٤م، فتضمن المبحث الأول نسب عقبة بن نافع وتاريخ ولادته، والمبحث الثاني جهوده ونشاطاته في المغرب قبل الولاية، والمبحث الثالث ولايته وبناء مدينة القيروان، والمبحث الرابع قضية عزله عن الولاية.

وعالج الفصل الرابع المتكون من سبعة مباحث، أحداث ولايته الثانية للمغرب، فتضمن المبحث الأول افتتاح المغرب الأوسط والمبحث الثاني دخول المغرب الأقصى، والمبحث الثالث عودة عقبة واستشهاده، والمبحث الرابع أسباب مقاومة السكان المحليين لعقبة ودوافعهما، أما المبحث الخامس فقد تحدث عن وضع القيروان بعد استشهاد عقبة، واهتم المبحث السادس بتقويم حملته، في حين تطرق المبحث الأخير الى دوره في نشر الاسلام واللغة العربية في المنطقة.

تحليل المصادر :

اعتمد البحث على مصادر ومراجع عديدة سنتناول أهمها للتحليل معتمدين سني الوفاة أساساً للترتيب :

يعد أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م)، من أوائل المؤرخين الذين كتبوا عن فتوح المغرب، فقد صرف عنايته وأهتمامه للعلوم الاسلامية عامة، وللتاريخ منها بصورة خاصة[١]، وكان عالماً بالسير والمغازي وله مؤلفات عديدة[٢]. وقد تميزت أخباره بالأمانة والدقة لاعتماده في رواياته على الأسانيد الكاملة، لهذا فقد كان يروي أكثر من رواية عند ذكره لخبر معين، ويهتم بالتفاصيل الجغرافية التي تتصل بمواقع المعارك[٣]، ولكن ما وصلنا من كتابه عن " فتوح أفريقية " يغلب عليه الطابع القصصي والأسطوري مما يجعل الاستفادة منه الآن أمراً صعباً[٤]. ويبدو ان هذا الكتاب قد تغير مع الزمن حتى وصل الينا بالشكل الاسطوري الذي هو عليه. ولحسن الحظ فقد أعتمد بعض المؤرخين القدامى على نسخته الأصلية قبل ان تلحقه الاضاعات والتشويه، فنقلوا الينا روايات مهمة عن هذه الفتوح، من أمثال البلاذري، وأبي العرب[٥].

أما أقدم ما وصل الينا كاملاً عن فتح المغرب فهو كتاب "فتوح مصر والمغرب"[٦] لعبد الرحمن بن عبد الله المعروف بابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ/٨٧٠م)، ويعد هذا الكتاب من أهم الوثائق التاريخية للفتح العربي الاسلامي للمغرب .وكان ابن عبد

---

(١) مقدمة كتاب المغازي للواقدي ، تحقيق مارسدن جونس (بيروت:١٩٦٦):١/١٠.

(٢) ابن النديم ، الفهرست (بيروت:١٩٧٨) ، ص ١٤٤.

(٣) عبد العزيز الدوري،بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب(بيروت:١٩٦٠) ، ص ٣٠،٣١.

(٤) طبع هذا الكتاب في تونس سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م، بمعرفة عبد الرحمن الصفادلي، ولم يتيسر لي الاطلاع عليه، انظر:سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي (الاسكندرية:١٩٧٩): ١/١٨،١٩.

(٥) انظر: حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب (القاهرة:١٩٤٧)، ص ٣١٠.

(٦) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر (القاهرة:١٩٦١).

الحكم منحدراً من عائلة مصرية لها مكانتها العلمية ودورها في الادارة والسياسة مما عرضها في سنة (٢٣٧هـ/٨٥١م) الى محنة عظيمة[١]، وهذا يعني أنه كان بمقدوره ان يطلع على السجلات والوثائق الرسمية الخاصة بفتوح مصر والمغرب .

وجاءت رواية ابن عبد الحكم على فتح المغرب كاملة، فقد بدأها بالمحاولات الأولى للفتح، وذلك منذ قيام عمرو بن العاص بفتح برقة وطرابلس، ثم استمر في سرد الأخبار عن الفتح حتى نهاية العصر الأموي، أما ما يخص أخباره عن ولاية عقبة الأولى وبنائه القيروان، وولايته الثانية، فقد جاء مختصراً وسريعاً، فقد تحدث فيما يتعلق بالولاية الأولى عن موضع القيروان، وعزل عقبة فقط دون ان يتعرض لأسباب بناء القيروان، والعوامل التي حدت بعقبة الى اختيار موضعها .وتحدث فيما يتعلق بالولاية الثانية عن حملة عقبة الكبرى بشكل مقتضب وسريع، ولم يذكر جميع المدن والمواضع التي مرّ عقبة بها وفتحها في أثناء تقدمه، وخلال عودته، ومع ذلك فان ما أورده ابن عبد الحكم من معلومات يعد على درجة كبيرة من الأهمية، وذلك لحرصه على اسناد رواياته الى من سمع منهم أو من أخذ عنهم، وقد استقى معظم معلوماته من رجال محدثين، لاسيما يزيد بن حبيب (ت١٢٨هـ/٧٤٥م)، وابن لهيعة (ت١٧٤هـ/٧٩٠م)، والليث بن سعد (ت ١٧٥هـ/٧١٩م)، وعثمان بن صالح (ت٢١٩هـ/٨٣٤م)، وآخرون غيرهم[٢].

ولم تخل روايات ابن عبد الحكم من بعض المبالغات والقصص، كقصة " ماء الفرس"[٣]، لدى عقبة، وقصة حديثة مع الوحوش والأفاعي، ومناداته لها بالخروج من الوادي من أجل تخطيط القيروان[٤].

---

(١) الكندي، الولاة والقضاة، هذب وصحح بقلم رفن كست (بيروت:١٩٠٨)، ص ١١٩-٢٠٠ ، ص ٤٥٢.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، المقدمة، ص ك.

(٣) قصة ماء الفرس تتضمن: أن عقبة وأصحابه أقاموا في مكان لم يكن فيه ماء، فأصابهم عطش شديد، كاد أن يقتلهم، فصلى عقبة ودعا الله، فقام فرسه يبحث بيديه بالأرض حتى كشف عن صفاة فانفجر منها الماء ، فنادى عقبة في الناس: أن احتفروا فحفروا سبعين حفرة فشربوا واستقوا ، فسمي ذلك المكان بمكان الفرس. أنظر : المصدر نفسه ، ص ٢٦٣، ٢٦٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٥.

واحتوت بعض أخباره على أخطاء لاسيما في تحديد التواريخ كقوله: "عزل عقبة ابن نافع في سنة احدى وخمسين ... "[1]. وهذا غير صحيح كما سنرى في سياق هذا البحث.

أما كتاب " فتوح البلدان "[2] لأحمد ن يحيى بن جابر بن داؤد المعروف بالبلاذري (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فهو من الكتب المهمة التي تناولت الفتوح بشكل عام، ومن ضمنها فتوح المغرب، ولكن أخبار البلاذري عن المغرب جاءت ناقصة وموجزة جداً لا تتجاوز خمس صفحات، مبتدئاً في المحاولات الأولى للفتح حتى ولاية عقبة الثانية، وقال عنها : "لما ولي يزيد بن معاوية ردّ عقبة بن نافع الى عمله فغزا السوس الأدنى وهو خلف طنجة، وحول فيما هناك لا يعرض له أحد، ولا يقاتله فانصرف"[3] ومن خلال النص نلاحظ أن أخبار فتح المغرب قد انقطعت عن البلاذري، فهو لم يتحدث عن عودة عقبة واستشهاده. ومع هذا فرواياته الأخرى عن الفترة التي تتعلق بموضوع هذا البحث على درجة كبيرة من الأهمية، لأنه أحد المؤرخين الأوائل الذين كتبوا في هذا المجال، وكان قد اعتمد في رواية معظم أخباره على الواقدي[4].

وقدم لنا أبو عمر محمد بن يوسف المشهور بالكندي (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م)، في كتابه "الولاة والقضاة " معلومات لايستهان بها عن فتح عمرو بن العاص لبرقة وطرابلس، وجهود عبد الله بن مسعد بن أبي سرح، ومعاوية بن حديج في فتح أفريقية .وقد جاءت أهمية هذا الكتاب بالنسبة لموضوع البحث بشكل كبير لذكره تفاصيل كثيرة عن غزوات عقبة بن نافع في أفريقية في عهد الولاية الثانية لعمرو بن العاص[5]، وقد استقى الكندي معظم أخباره عن رواة ثقاة أخذوا رواياتهم عن طريق سلسلة من الاسناد تتصل بشهود العيان الذين عاصروا الأحداث[6].

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، المقدمة، ص ٢٦٥.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان (بيروت:١٩٧٨).

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣٠.

(٤) أنظر: المصدر نفسه، ص ٢٢٥،٢٢٦،٢٢٩،٢٣٠،٢٣١.

(٥) الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٣٢ ، ٣٣.

(٦) أنظر: المصدر نفسه، ص ١٢ ، ١٣ ، ٣٢.

أما ابراهيم بن القاسم الكاتب المعروف بالرقيق القيرواني (ت ٤١٧هـ/١٠٢٦م)، فكان له تصانيف كثيرة في علم الأخبار، من أشهرها كتاب "تاريخ أفريقية والمغرب" الذي يقع في عدة مجلدات[١].

ويعد من أشهر المصادر المعتمد عليها عن هذه الفترة، ومما يؤسف له فقدان أجزاء كثيرة من هذا الكتاب، باستثناء قطعة قام بتحقيقها السيد المنجي الكعبي[٢].

وتأتي أهمية هذا الكتاب لاعتماد المشارقة والمغاربة الذين جاؤا بعد الرقيق عليه، كابن الأثير، وابن عذارى، والنويري وابن خلدون، والتجاني، فقد وجدت نقولات عديدة في كتبهم وطابقة تقريباً للقطعة المحققة[٣].

وتتناول هذه القطعة أخبار فتح المغرب من أواسط القرن الأول الى أواخر القرن الثاني الهجري ويبدأ الرقيق فيها بولاية عقبة الثانية وضمنها تفاصيل مهمة عن مسيرة عقبة في حملته الكبرى، فضلاً عن ذكره المدن والمواضيع التي مرّ بها وفتح بعضها، حتى أنه يشير الى وصول عقبة للسوس الأقصى ثم ينقطع حديثه عن مسيرة عقبة في الفتح وخبر عودته وخبر استشهاده، ثم يعود فيستأنف حديثه ثانية بخروج العرب من القيروان، والاستيلاء عليها دون قتال من قبل كسيلة[٤].

وقد اعتمد الرقيق في أخباره على مجموعة من المؤرخين منهم الواقدي، والمدائني (ت ٢٢٥هـ/٧٣٩م)، والزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، ولكن كان ينقل أخباره بشكل خاص عن عبد الله بن أبي حسان اليحعبي (ت ٢٢٧هـ/٨٤١م)[٥]. وهو محدث ثقة من أشراف أفريقية، له اطلاع وإلمام واسع بالفقه، والأدب، وعلم التاريخ، وأنساب العرب وأيامها[٦].

---

(١) الحموي، معجم الأدباء، (بيروت:بدون تاريخ) : ٢١٦/١.

(٢) الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي (تونس:١٩٦٨).

(٣) المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص ١٠٨.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٠-٤٦، وانظر عن كسيلة: الفصل الرابع ، ص ١٢٤ من هذا البحث.

(٥) المصدر نفسه، ١٢ المقدمة.

(٦) انظر: ابو العرب، علماء أفريقية وتونس، تحقيق علي الشابي، ونعيم حسن اليافي (تونس:١٩٦٨)، ص١٥٥،١٥٦.

أما كتاب "رياض النفوس"[1] لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي (ت٤٥٣هـ/١٠٦١م)، فهو من المصادر المهمة لتاريخ الفتح العربي للمغرب، على الرغم من أنه يقع ضمن كتب الطبقات ويقدم تراجم لمشاهير علماء أفريقية وفقهائها، وقد أفرد مؤلفه فضلاً للحديث عن قصة الفتح منذ سنة ٢١هـ/٦٤١م حتى زمن حسان بن النعمان في حدود سنة ٨٥هـ/٧٠٥م[2]. واعتمد في رواياته على مصادر مشرقية كابن اسحق (ت١٥١هـ/٧٦٧م)، والواقدي[3].

وتحدث المالكي بشكل مفصل عن حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح الى أفريقية، وقد أبرزت روايته دور عبد الله بن الزبير في هذه الحملة، واحتوت على بعض الاشارات المهمة التي لم نجدها في مؤلفات الآخرين، كالاشارة الى مشاركة القبط أدلاء في الحملة، وتعليل سبب عودة عبد الله بن سعد الى مصر، على الرغم من الانتصارات التي حققها[4]. واستمر المالكي في روايته عن الفتح فتحدث عن حملة معاوية بن حديج الى أفريقية، وعن ولاية عقبة الثانية وحملته الكبرى التي وصل بها الى المحيط الأطلسي، وعودته واستشهاده على يد كسيلة ثم على وضع القيروان بعد فاجعة تهوذة.

ولا تخلوا أخبار المالكي من بعض المبالغات والقصص ومنها ما نسب الى عقبة من كرامة في تحديده لموضع قبلة المسجد[5]. وقد احتوت أخباره على بعض الأوهام والخلط في التواريخ مثل على ذلك قوله: "فوجه مسلمة بن مخلد خالداً بن ثابت الفهمي الى أفريقية، وكان من التابعين، فخرج في المحرم سنة أربع وخمسين، فانتهى الى موضع منها وأصاب غنائم كثيرة، ثم عزله مسلمة وولى أبا المهاجر مولاه، وكان من التابعين فخرج أبو المهاجر من مصر سنة خمس وخمسين بجيوش أهل الشام ومصر الى

---

(١) المالكي، رياض النفوس، تحقيق حسين مؤنس (القاهرة:١٩٥١)، ج ١.

(٢) المصدر نفسه : ٣/١-٣٨.

(٣) المصدر نفسه : ٢١/١.

(٤) المصدر نفسه : ١٧،٧/١.

(٥) المصدر نفسه : ٧،٦/١.

أفريقية"[1]، وقوله: "أن معاوية بن أبي سفيان عزل مسلمة بن مخلد وولى سعيد بن يزيد الأنصاري فلما بلغ ذلك أبا المهاجر لحق بمولاه، ثم وجه سعيد بن يزيد، عقبة بن نافع الفهري، والياً على أفريقية بجيوش من قبله عددهم عشرة آلاف سنة سبع وخمسين... "[2]. وهذا غير صحيح كما سنرى في سياق هذا البحث .وقد انتفع من كتاب المالكي مؤلفون متأخرون كعبد الرحمن الدباغ (ت٦٩٦هـ/١٢٩٦-١٢٩٧م)، الذي اعتمد في أخباره اعتماداً كبيراً على المالكي، حتى يمكننا القول ان كتاب "معالم الأيمان"[3] للدباغ ما هو الاّ صورة أخرى من كتاب "رياض النفوس" وذلك على الأقل فيما يتصل بأخبار الفتح .

أما كتاب " الاستيعاب في معرفة الأصحاب "[4] لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد المعروف بإبن عبد البر (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، فهو من أمهات كتب التراجم، وأصل من أصول التاريخ الاسلامي المعتمد فيها على الأقوال المشهورة عند أهل العلم بالسير والأثر والأنساب، وعلى التواريخ المعروفة التي عوّل عليها العلماء في معرفة تاريخ الاسلام وسير أهله، وقد بيّن ابن عبد البر في مقدمته المراجع التي اعتمد عليها، وأهم المؤرخين والرواة الذين أخذ عنهم معلوماته كموسى بن عقبة (ت ١٤١هـ/٧٥٨م)، وابن اسحاق، والواقدي، والمدائني، ومصعب بن عبد الله (ت ٢٣٣هـ/٨٤٧م)، وخليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م)، وآخرون[5].

واستفاد هذا البحث من الترجمة الدقيقة التي قدمها ابن عبد البر لعقبة بن نافع وضمنها نسبه وولادته، ودوره في فتح المغرب قبل توليه ولاية أفريقية في الولاية الثانية

---

(١)المالكي، رياض النفوس: ١/١٩، ٢٠.

(٢) المصدر نفسه : ١/٢١.

(٣) الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تصحيح وتعليق إبراهيم شبوح (القاهرة: ١٩٦٨)، ج ١.

(٤) ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ،تحقيق علي محمد البجاوي (القاهرة:١٩٦٠)، ج١.

(٥) المصدر نفسه: ١/١٩، ٢٠، ٢١.

لعمرو بن العاص لمصر، وقد تحدث أيضاً عن ولايته الأولى وبنائه القيروان بشكل موجز جداً، وأخيراً عن استشهاده على يد كسيلة[1].

ويعد كتاب "الكامل في التاريخ"[2]، لعز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) مصدراً مهماً لكل من يعرض لدراسة فتوح المغرب، على الرغم من كونه كتاباً مشرقياً متأخراً عن الفترة التي ندرسها، لكن أهميته جاءت من احتوائه على معلومات مفصلة ودقيقة لا نجد لها مثيلاً الاّ في كتاب البيان المغرب لابن عذارى، لأنه بدأ بتأليف كتابه هذا في وقت كثرت فيه المؤلفات عن فتوح المغرب، فاستقى رواياته من هذه المؤلفات وقد أكد ذلك باشارته الى أنه أعتمد في كتاباته على المؤرخين المغاربة لأنهم أخبر ببلادهم من غيرهم[3].

وروى ابن الأثير أخبار فتح المغرب مبتدئاً بالمحاولات الأولى لعمرو بن العاص في فتح برقة وطرابلس، ومعاودة عبد الله بن سعد بن أبي سرح لفتح أفريقية ومن بعده معاوية بن حديج، وتحدث عن دور عقبة وغزواته في عهد ولاية عمرو بن العاص الثانية لمصر، بتفصيل لا نجد له مثيلاً في أي مصدر آخر، وتحدث عن ولايته الأولى وأسباب بنائه لمدينة القيروان، وعرض لوصف موضع القيروان لكنه لم يتعرض لعوامل اختيار هذا الوضع، وأشار الى أثر بنائها على نشر الاسلام وثباته، ثم تحدث عن عزل عقبة، وعن ولايته الثانية وحملته الكبرى واستشهاده.

ولقد أفاد هذا البحث أيضاً بشكل كبير من كتاب " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب "[4] لابي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن عذارى، الذي بدأ بتأليفه منذ أواخر القرن السابع الهجري، واستمر الى حدود سنة (٧١٢هـ/١٣١٢م)، وهو كتاب معوّل عليه في أخبار الفتح العربي الاسلامي للمغرب والأندلس .والذي يهمنا

---

(١) ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب: ٣/١٠٧٥،١٠٧٦،١٠٧٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (بيروت:١٩٦٥).

(٣) المصدر نفسه : ٣/٤٦٥.

(٤) ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تحقيق ج.س كولان ،وا. ليفي بروفنسال (ليدن:١٩٤٨)،ج١، وقد أعادت دار الثقافة نشره في بيروت.

منه جزؤه الأول الذي روى فيه المؤلف قصة فتح المغرب كاملة ومفصلة من مقدمات عمرو بن العاص في فتح برقة وطرابلس الى نهاية العصر الأموي .

وتأتي أهمية هذا الكتاب من احتوائه على روايات قدامى المؤرخين، فلقد أشار ابن عذارى في مقدمته الى عدد من الذين اعتمد عليهم في تأليفه كأبن حبيب (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م) والطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، وعريب بن سعد (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م)، وابن حزم (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣-١٠٦٤م)، والبكري (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) وابن القطان (ت٦٢٨هـ/١٢٣٠م) وآخرون[١] . فضلاً عن روايات شفوية يبدو أنه استقاها عن شيوخ معاصرين له، يشير اليهم أحياناً بعبارة " ويذكر أشياخنا "[٢].

وتعد رواية ابن عذارى أكمل وأوفى رواية ظهرت عن فتح العرب للمغرب، وهي مشابهة تقريباً لرواية ابن الأثير في وفرة المادة، وكثرة التفاصيل .وقد انفرد ابن عذارى بتفاصيل كثيرة ودقيقة لها أهميتها كإشارته الواضحة الى عودة عقبة بعد الانتهاء من حملته الكبرى على المغرب .ولم يتفق في ايراد هذه الأخبار غير عبيد الله بن صالح[٣]. ويعود السبب في ذلك الى أن مورد أخبارهما واحد، وهو والد عبيد الله بن صالح الذي يسميه ابن عذارى الشيخ الصالح أبا علي أبي صالح[٤] . وهو من مشاهير العلماء في الفقه، وعلم التاريخ، من سكان مدينة نفيس بالقرب من مراكش[٥].

---

(١) ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ٣،٢/١ المقدمة ،وقارن بعبد الواحد ذنون طه ،موارد تاريخ ابن عذارى المراكشي عن شمال أفريقية من الفتح الى بداية عهد المرابطين، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الرابع، المجلد السادس والثلاثون، ١٩٨٥، ص ٢١٦- ص ٢٦٠.

(٢) ابن عذارى: ٢٠٣،٢٠٢/١، وانظر: طه، موارد تاريخ ابن عذارى، ص ٢٦٢.

(٣) عبيد الله بن صالح، نص جديد عن فتح العرب للمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، ترجمة حسين مؤنس،صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، العدد الثاني،١٩٥٤، ص ٢١٠،٢٠٩،٢٠٨.

(٤) البيان المغرب : ٢٨،٢٧/١.

(٥) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، نشر: ليفي بروفنسال (الرباط: ١٩٣٤)، ص٧٥، وانظر: طه، موارد تاريخ ابن عذارى، ص ٢٦٢.

وعلى الرغم من أهمية روايات ابن عذارى وتفصيلها، لكنه وهم في بعض الأخبار التي أوردها كقوله: "في سنة ٤٩، غزا عقبة بن نافع الفهري الروم في البحر بأهل مصر"[١] وهذا غير صحيح لأن قائد هذه الغزوة كان عقبة بن عامر الجهني، لا عقبة بن نافع الفهري.

أما رواية عبيد الله بن صالح بن عبد الحليم، فعلى الرغم من أنها تتميز بقصرها وايجازها الشديد، الاّ أنها من أوضح وأدق النصوص العربية التي تبحث في تاريخ الفتح العربي للمغرب، وقد درس هذه الرواية المستشرق ليفي بروفنسال[٢]. وقام الدكتور حسين مؤنس بترجمة دراسته الى العربية، ونشر الرواية بعنوان "نص جديد عن فتح العرب للمغرب"[٣]. وقد تميزت رواية عبيد الله بن صالح بأنها لم تقدم لنا تفاصيل ذات طابع قصصي أو اسطوري، وتتشابه رواية عبيد الله بن صالح – كما أسلفنا – مع رواية ابن عذارى، لاسيما فيما يتعلق بولاية عقبة الثانية وأعماله في المغرب الأقصى .وقد انفرد عبيد الله بن صالح بذكر بعض المعلومات التي لا لها وجود في مؤلفات الأخرى، منها قوله: ان السبب الذي دفع عقبة الى ارسال معظم جيشه الى القيروان، عند وصوله المغرب الأوسط، هو وصول أخبار مقامه من أفريقية[٤].

أما كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب/ج ٢٢"[٥] لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب المعروف بالنويري (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م)، فهو خاص بفتوح المغرب والأندلس، ويعد من الكتب التي أفاضت وفصلت في أخبار فتح المغرب، ورواية النويري عن الفتح تبدأ بحملة عبدالله بن يسعد بن أبي سرح وتنتهي بنهاية العصر الأموي.

---

(١) البيان المغرب: ١٩/١.

(٢) See Levi-provencal,Un uouveau recit de la conquetde Afriaue du Nord paries Arabica,1,pp.17-43

(٣) عبيد الله بن صالح ،نص جديد عن فتح العرب للمغرب، ص ١٩٥- الى ٢٣٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

(٥) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، نشر: جاسبار راميروا (غرناطة:١٩١٧)، الجزء الثاني والعشرون، القسم الثاني.

ولم يورد النويري المراجع التي استقى منها أخباره، ولما كان هناك تشابه كبير بين ما كتبه عن المغرب مع ما كتبه المالكي، فان هذا يدل على اعتماد هذين المؤرخين على مصدر واحد، ويعتقد بعض المحدثين أن هذا المصدر هو كتاب بعنوان: "مغازي أفريقية" لمؤلف مجهول توفي في حدود القرن الثاني للهجرة[1].

وزودنا كتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر"[2] لعبد الرحمن محمد بن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، بمادة وفيرة لا يمكن ان يستغني عنها أي باحث يتناول تاريخ فتوح المغرب، والذي يهمنا من هذا الكتاب هو ما جاء في جزئه السادس الذي يتناول فيه ابن خلدون تاريخ البربر واستيطانهم في المغرب بأربعة فصول لهذا الموضوع، الأول في ذكر أخبار البربر وأجيالهم ودولهم وأنسابهم، والثاني في مواطنهم بأفريقية والمغرب، والثالث في ذكر فضائلهم، والرابع في ذكر أخبارهم قبل الفتح للاسلامي وبعده الى ولاية بني الأغلب .

وقد جاءت أخبار ابن خلدون عن فتح المغرب مختصرة جداً، ومتفرقة لكنها في الوقت نفسه احتوت على بعض الاشارات المهمة كقصة صاحب قفصة "ابن مصاد" الذي فك اسر المسلمين من ايدي كسيلة وأرسلهم الى زهير بن قيس اليلوي في القيروان[3]. ولم تخل أخبار ابن خلدون من بعض الأخطاء كقوله : ان حملة عبد الله بن سعد بن ابي سرح تمت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه "، سنة ٢٩هـ/٦٤٩ [كذا]، ومنها قوله ايضاً: ان الخليفة يزيد بن معاوية هو الذي عين ابي المهاجر دينار على ولاية أفريقية[4]. وهذا غير صحيح كما سنرى في سياق هذا البحث، وقد استقى ابن خلدون أخباره لا سيما فيما يتعلق بأنساب البربر من الطبري، والمسعودي (ت ٣٤٥هـ/٩٥٦م)، وابن حزم، والبكري وآخرون[5]. وتأتي أهمية أخباره من صلته القوية

---

(١) حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص ٣٦٠.

(٢) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر (بيروت:١٩٧١).

(٣) المصدر نفسه: ١٤٧/٦، وانظر الفصل الرابع، ص ١٣٨ من هذا البحث.

(٤) المصدر نفسه: ١٠٧/٦،١٠٨.

(٥) المصدر نفسه: ٨٩/٦،٩٠،٩١،٩٣،٩٤،٩٥.

بتاريخ هذه البلاد، واعتماده المباشر على مصادر محلية ربما لم يطلع عليها غيره ولم يستفد منها.

وقد اعتمد هذا البحث ايضاً على مجموعة من المصادر الجغرافية أهمها مؤلفات البكري، والأدريسي (ت ٥٥٨هـ/١١٦٣م)، وصاحب كتاب الاستبصار، وهو من كتاب القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، وابن سعيد المغربي (ت ٦٨٣هـ/١٢٨٤م)، فضلاً عن عدد من الجغرافيين المشارقة كابن خردذابة (ت٣٠٠هـ/٩١٢م)، والمسعودي، وابن حوقل (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، والمقدسي (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م). وقد قدمت لنا هذه المؤلفات معلومات عن الأحوال الطبيعية والبيئية للمغرب كما وضحت الخلفية الأقتصادية والاجتماعية للسكان المحليين، وحددت مراكز استيطانهم قبيل الفتح العربي الاسلامي، مع وصف مدن المغرب وتعريفها من حيث مواقعها وأزمنة انشائها، وصفات أهلها .وقد تضمنت المصادر الجغرافية ايضاً معلومات تاريخية مهمة لا سيما كتاب " المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب "، فعلى الرغم من أن مؤلفه البكري كان منصرفاً الى جغرافية أفريقية والمغرب، الاّ أنه كان يضمن وصفه بين وقت وآخر أخباراً تاريخية، وغالباً ما كان يسند هذه الأخبار الى الليث بن سعد ومحمد بن يوسف الوراق[1]، وهو مؤرخ مغربي كان قد هاجر من القيروان واستقر بقرطبة وتوفي هناك سنة (٣٦٣هـ/٩٧٣م) بعد أن ألف للحكم المستنصر تاريخاً لأفريقية حتى أيامه[2].

وأخيراً لا بد من الاعتراف بفضل بعض الدراسات الحديثة الخاصة بفتح المغرب وتاريخه في هذه المرحلة وتخص منها بالذكر :

١- فتح العرب للمغرب، للدكتور حسين مؤنس.

---

(١) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، نشر:دي سلان (الجزائر:١٨٥٧) ، ص ٨٤.

(٢) انظر: الحميدي، جذوة المقتبس (القاهرة: ١٩٦٦)، ص ١٩٧ (رقم ١٦٠)، الضبي، بغية الملتمس، نشر: فوسسكو كوديز (مدريد:١٨٨٤)، ص ١٣١ (رقم ٣٠٤)؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، نشر:عزت العطار (القاهرة:١٩٥٥-١٩٥٦): ٣٦٦/١ (رقم ٩٩٦)؛ وينظر أيضاً، نص جديد عن فتح العرب للمغرب، ص ١٩٨.

٢- تاريخ المغرب العربي، للدكتور سعد زغلول عبد الحميد.

٣- المغرب الكبير، للدكتور السيد عبد العزيز سالم.

٤- الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال أفريقية والأندلس، للدكتور عبد الواحد ذنون طه.

فقد أفادت هذه المؤلفات بحثنا ببعض التفسيرات الدقيقة، وضمت تحليلات تاريخية كان لها فضل اثارة أكثر من فكرة، لدراسة ومناقشة الأمور التي جرى فيها الاتفاق أو الاختلاف معها، وهي في الحالتين قد فتحت أمام البحث مجالاً واسعاً للاطلاع على ملاحظات مهمة لا بد من أخذها بعين الاعتبار.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

الأوضاع العامة للمغرب قبيل الفتح العربي الاسلامي

أولاً : الموقع الجغرافي

ثانياً : الأوضاع السياسية

ثالثاً : الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

الأوضاع العامة في المغرب قبيل الفتح العربي الاسلامي

أولاً : الموقع الجغرافي

اختلف الكتاب العرب في تحديد مصطلح المغرب[1]، لـذا فمـن الأفضـل تحديـد المنطقة الجغرافية المشمولة بالبحث والدراسة، والتي تضـم الأقـاليم الممتـدة مـن برقـة، غربي مصر شرقاً، الى المحيط الأطلسي غرباً، وتنتشر شمالاً، بمحاذاة البحر المتوسط، وتمتـد

(١) ذكر ابن حوقل، ان المغرب تمتـد مـن مصـر وبرقـة الى أفريقيـة وناحيـة تنـس الى سـبتة وطنجـة، انظر:صورة الأرض (بيروت:١٩٧٩)، ص٦٤ .وهناك مـن يـرى ان حـد المغـرب يبـدأ مـن مصـر الى طنجة، ويضاف اليه الأندلس؛ انظر:الاصطخري، الأقاليم، (جوتـة: ١٨٣٩)، ص ١٩، ابـن عـذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب:١/٥،٦، في حين يرى المقدسـي ان حـد المغـرب يبـدأ مـن مصر الى السوس الأقصى، مضافاً اليه صقلية ؛انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقـاليم (ليدن:١٩٠٦)، ص٢١٦. أما الحموي فيرى أن حد المغرب يبدأ من مليانه الى المحيط الأطلسي، مضافـاً اليه الأندلس:الحموي، معجم البلدان، (بيروت:١٩٥٧): ٥/١٦١.

جنوباً في عمق الصحراء الكبرى[1]، وهي تضم الآن كلا من ليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب، وموريتانيا.

وقد تداخلت أيضاً لدى الكتاب العرب، لفظة أفريقية بالمغرب، وأعطت مدلوله نفسه[2]، ولكنها حددت فيما بعد بتونس وشرقي الجزائر[3].

وعلى ضوء التعريف الآنف الذكر فبالإمكان تقسيم المغرب العربي الى أربعة أقسام هي:

١- برقة (انطابلس)، وطرابلس (طربيلة): وهما الأقليمان الأولان من ناحية الشرق، لبلاد المغرب، ومن الملاحظ ان بعض الكتاب يدخلهما ضمن أفريقية (المغرب الأدنى)[4]، والبعض الآخر يدخل طرابلس فقط، أما برقة فلا يدخلها أصلاً ضمن المغرب كله[5].

٢- المغرب الأدنى: ويسمى بـ (أفريقية)[6]، ويمتد من الحدود الغربية لطرابلس

---

(١) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي (القاهرة:١٩٤٩)، ص٣٥٤، الزهري، كتاب الجغرافيا، تحقيق، محمد حاج صادق، مجلة الدراسات الشرقية، مجلد ٣١، دمشق، ١٩٦٨، ص ٢٠١، ابو الفدا، تقويم البلدان، (باريس:١٨٤٠)، ص ١٢٢.

(٢) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص ٢١، ابن ابي دينار، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام (تونس:١٩٦٧)، ص ٢٠.

(٣) الحموي، معجم البلدان:٢٢٨/١، وهو يرى (انها تمتد من طرابلس الى بجاية أو الى مليانه)؛ العمري، وصف أفريقية والمغرب والأندلس، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب (تونس:بدون تاريخ)، ص٢؛ ابن ابي دينار، ص١٩، وقارن:بعبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الاسلامي، في شمال أفريقية والأندلس (بغداد-ميلانو:١٩٨٢)، ص ٤٧.

(٤) الزهري، ص٢٠٠.

(٥) السلاوي، الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري (الدار البيضاء:١٩٥٤): ٧١/١.

(٦) اختلف الكتاب العرب والأجانب في أصل لفظة أفريقية، وقد ناقش الدكتور حسين مؤنس هذه المسألة، وتوصل الى ان هذه اللفظة مشتقة من كلمة افري Aphri التي كان قد اطلقها الفينيقيون على أهل البلاد الذين يسكنون حول مدينتهم طاقت Utica (المدينة القديمة) وقرطاجة (المدينة الحديثة)، وأخذها عنهم اليونان وأطلقوها على سكان المغرب من حدود مصر الغربية الى المحيط الأطلسي.أنظر حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص ١ وما يليها وقارن:

M. Talbi,Ifrikiga,The Encyclopaodia of Islam,New edition Leidon,London,1971,Vol. III,p. 1047-1059

شرقاً، الى بجاية غرباً[1]، ويشمل مناطق تونس الحالية، وبعض الاجزاء الشرقية من الجزائر، وكانت قاعدته مدينة القيروان، وسمي بالأدنى، لأنه أقرب بلاد المغرب الى دار الخلافة في الشرق.

٣- المغرب الأوسط: ويمتد من الحدود الغربية لبجاية شرقاً، حتى وادي ملوية غرباً، الذي يعد الحد الفاصل بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، وقاعدته تلمسان[2] ويشمل مناطق وسط الجزائر وغربها وسمي بالمغرب الأوسط، لتوسطه بين المغرب الأدنى والأقصى.

٤- المغرب الأقصى: ويمتد ما بين وادي ملوية وتلمسان شرقاً، حتى المحيط الأطلسي، عند مدينة آسفي غرباً، وقاعدته مدينة فاس[3]، وسمي بالمغرب الأقصى لبعده عن مركز الخلافة في الشرق، ويشمل مناطق المملكة المغربية الحالية، وموريتانيا.

وتجدر الاشارة الى ان هذا التقسيم، وهذه الحدود والفواصل المصطنعة غير طبيعية، لأن المغرب يكون كياناً واحداً متجانساً من النواحي الجغرافية، والبشرية، والاقتصادية، والاجتماعية، وهذا ينسجم مع مطالب الشعب المغربي، الذي ينادي ببعث المغرب العربي الكبير، من جديد، ليكون سنداً وظهراً قوياً للمشرق العربي في التحرر، وبعث الوحدة العربية الكبرى من المحيط الى الخليج[4].

أما عن الطبيعة الجغرافية للمغرب، فانه يتميز بتنوع البيئة من سهل ساحلي ضيق، يمتد على طول شواطئ البحر المتوسط الى سلاسل جبلية عالية، تفصل السهل الساحلي، عن بقية البلاد ثم الصحراء الكبرى الممتلة في المناطق الجنوبية منه، وأما أهم

---

(١) العمري، ص ٢٥.

(٢) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٢٢؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر: ١٠٢/٦.

(٣) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٢٢؛ ابن خلدون، العبر: ١٠١/٦.

(٤) أحمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس (الاسكندرية:بدون تاريخ)، ص١٤، يحيى بو عزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، (بيروت:١٩٦٥): ١٥/١.

ما يميز المغرب بوجه عام من الناحية التضاريسية فهو امتداد السلاسل الجبلية المعروفة بجبال أطلس، حيث تربط المغرب الأدنى بالمغرب الأقصى، وتبدأ هذه السلاسل من المغرب بأطلس الريف[1]، وسلاسل أطلس التل الجزائرية والتونسية امتداد لأطلس الريف، وهي تطل على البحر المتوسط، على هيئة مدرجات، والى الجنوب منها تمتد جبال أطلس العليا، التي يصل ارتفاعها الى ما يزيد على أربعة آلاف متر، والى الشرق من أطلس العليا، تمتد سلاسل عديدة من الهضاب والحافات وتعرف بأسماء متعددة، كجبال القصور، وعمور، وأولاد نائل، واوراس، وهذه هي التي تكون سلاسل أطلس الصحراوية، وهي أقل ارتفاعاً من أطلس العليا، أما أطلس الوسطى، فهي تمثل حاجزاً منيعاً، بين أطلس العليا، والريف في غرب المملكة المغربية، وارتفاعها يزيد على ثلاثة آلاف متر، وتحصر هذه السلاسل بينها الأحواض والأودية الضيقة، ونتيجة لشدة وعورة المنطقة، فقد عدت هذه السلاسل والقمم العالية معاقل وحصوناً منيعة للسكان المحليين، سهلت لهم الدفاع عن أرضهم، بوجه أي هجوم، وخلقت منهم رجالاً أشداء وأقوياء، وكانت هذه الطبيعة الوعرة أحد العوامل التي عرقلت وأخرت تقدم الفتح العربي الاسلامي للمغرب[2].

وكان للوقع الاستراتيجي للمغرب، وامتداده على طول شواطئ البحر المتوسط شمالاً، وأطلاله على المحيط الأطلسي غرباً، وكثرة موارده وخيراته قيمة كبيرة، أغرت الشعوب وأطمعتها بالسيطرة عليه، حتى مجيئ العرب الفاتحين، فقد توالت عليه هجمات الرومان، والوندال، والقوط، والبيزنطينيين، وكان لجميع هؤلاء تأثيرات، متفاوتة على سكان المغرب .

---

(١) محمد عبد الغني سعودي، الوطن العربي (دراسة جغرافية)، (القاهرة١٩٧٨)، ص ٥٠٤؛سيدي عبد الرزاق الجوهري، شمال أفريقية (دراسة جغرافية)، (الاسكندرية:بدون تاريخ)، ص ٦.

(٢) أنظر:سعودي، المرجع السابق، ص ٥٠٤، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨.

ثانياً : الأوضاع السياسية

كان المغرب في عشية الفتح العربي الاسلامي يرزح تحت الحكم البيزنطي، الذي يعد امتداد للحكم الروماني، ففي سنة ٥٣٣م، انتهى حكم الوندال في المغرب، على يد القائد البيزنطي بلزا ريوس **Belisarius**، قائد الامبراطور جستنيان **Justinian**، وكانت بيزنطة قد عدت نفسها وريثة روما في تزعم العالم الروماني، بعد سقوط روما على أيدي الوندال سنة ٤١٠م، وقد بذل الامبراطور جستنيان جهوداً كبيرة، من أجل إعادة سيطرتها ونفوذها كما كانت عليه أيام الامبراطورية الرومانية[١]. الاّ أن المناطق التي احتلها البيزنطيون كانت أقل بكثير من المناطق التي كانت تحت سيطرة الرومان، واقتصرت على المناطق الساحلية، وبعض المراكز الحصينة في الداخل، فقد تقلصت موريطانيا الطنجية، وانحصرت في سبتة، واقتصرت موريطانيا القيصرية على شرشال، أما موريطانيا السطيفية، فقد اقتطع منها الجزء الغربي، وفقدت طرابلس الجزء الجنوبي، وبقيت نوميديا، وأفريقية البروقنصلية والمزاق، كما كانت في عهد الرومان[٢]. أما بقية البلاد فلم يستطع البيزنطيون التوغل فيها قط، لا في الهضاب والجبال العالية، ولا في المناطق الصحراوية، ولا في المناطق التي تقع في أقصى المغرب على المحيط الأطلسي، فقد كانت في أيدي امراء مستقلين عن السكان المحليين يناهضون استيلاء الأجنبي على البلاد، وقد أشار الى ذلك ابن خلدون بقوله: "وكان للبربر في الضواحي وراء ملك الأمصار المرهوبة الحامية ما شاء من قوة ودعوة، وعدد وملوك ورؤساء واقيال وأمراؤها لا يرامون بذل ولا ينالهم الروم والأفرنج في ضواحيهم تلك بمسخطة الاساءة[٣].

ومن أجل السيطرة على الجلاد، قامت السلطة البيزنطية الغازية بتقسيم البلاد ادارياً، الى سبع مقاطعات، حكم الثلاث الأولى، منها قناصل **Consulaies**، أما الاربع

---

(١) أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي (بيروت:١٩٧٢)، ص ٢٤٠.

(٢) شارل اندريه جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، (تونس:١٩٨٥): ٩/٢، ١٠.

(٣) العبر: ١٠٧/١؛ وانظر:موريس لومبار، الاسلام في مجده الأول، ترجمة، إسماعيل العربي (الجزائر:١٩٨٤)، ص١٨؛ نعمت السعيد المغرب العربي (بغداد:١٩٧٩)، ص ١٧، ١٩، ٢٠.

الباقية، فكان يحكمها مديرون **Praesides**، وهي كما يأتي :

١- الولاية القنصلية (زغوان/شمال تونس الحالية **Zeugiane** ومركزها قرطاجة .

٢- الولاية الداخلية (بيزاسيوم/المزاق) **Byzaciam** جنوب البلاد التونسية .

٣- طرابلس **Tripolitania**، وتقع في غربي برقة .

٤- نوميديا **Numidia**، وتقع شرقي مقاطعة قسنطينة .

٥- موريطانيا الأولى: وتعرف بـ (موريطانيا السطيفية) **(Mauritania??)** ومركزها سطيف بالجزائر.

٧- موريطانيا الثانية **Mauritania Pr??nire** وتعرف بموريطانيا القيصرية، ومركزها وسط البلاد الجزائرية ويشمل هذا الأقليم على موريطانيا الطنجية وقاعدتها سبتة .

٨- سردانيا[١].

وكان على رأس السلطة البيزنطية حاكم يدعى بـ (قائد امبراطور)، **Unprefet dupretoir** ، ذو سلطة واسعة ومطلقة، بيده كل الشؤون القانونية، القضائية، والمالية، والدينية، وكان يساعده في ذلك عدد من الموظفين، وله مستشارون مختصون، في شؤون القضاء، ومن هؤلاء الموظفين، كان يتشكل أعضاء ديوانه، وكان له أيضاً عشرة مكاتب تحوي (١١٨) مائة وثمانية عشر موظفاً، و(٩) تسع لجان، للقيام ببعض الأعمال الادارية، لاسيما ما يتصل بالمالية[٢].

أما من الناحية العسكرية، فقد وجهت السلطة اهتمامها الى تنظيم الجيش الذي كان يتألف من ثلاثة عناصر، وهم البيزنطيون، ومنهم الفرسان والمشاة، والبربر، (وهم من السكان المحليين)، ومنهم الفرسان والمشاة، والمشاركون في الحرس الامبراطوري، ثم الجنود المرتزقة[٣]، وقد تم توزيع الجيش على أربع مناطق عسكرية وهي :

---

(١) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص ١٥، جوليان، المرجع السابق: ٢٦١/١.

(٢) المرجع نفسه: ٣٦١/١.

(٣) السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، (الاسكندرية:١٩٦٦): ٢/ ٨١.

١- لبدة لطرابلس .

٢- قفصة للمزاق .

٣- قسنطينة لنوميديا .

٤- شرشال لموريطانيا .

وقد حكم البيزنطيون المغرب حكماً عسكرياً، فكانت السلطة بيد بطريق مقره قرطاجة، يقيم معه أركان حربه **Domesticus**، وحاشيته العسكرية الكثيرة العدد، ويساعده في عمله رئيس أركان حربه، وعدد كبير من أفراد هيئة الادارة الحربية، وكان البطريق أحياناً يجمع بين السلطتين العسكرية والمدنية، ويطلق عليه لقب أكسر خوس **Exarquc**[١].

ولم ينحصر إهتمام السلطة البيزنطية بالجيش حسب، بل وجهت اهتمامها بشكل أكبر الى تحصين مناطق نفوذها، ذلك ان الحاكم العسكري كان يعتمد في الجانب الدفاعي على التحصينات المنيعة التي أقامها، أكثر من اعتماده على الجنود، لذا بنيت حصون، وقلاع جديدة، فضلاً عن إعادة بناء الحصون الرومانية، التي هدمها الوندال وتجديدها حتى تكون سداً منيعاً، تقي البيزنطيين من ثورات السكان المحليين وهجماتهم[٢].

ولم يحسن البيزنطيون التعامل مع السكان المحليين، لذلك لم يتمكنوا من استمالتهم الى جانبهم، بل أثارت حفيظتهم سياسة التعسف والمغالاة، في فرض الضرائب الباهظة، والاتاوات، وتفشي الرشوة بين جميع طبقات الحكام والموظفين[٣]. فقد

---

(١) أحمد صقر، مدنية المغرب العربي في التاريخ (تونس:١٩٥٩)، ص ٣٩٥؛محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير (بدون مكان:١٩٦٤): ٤٤٣/١؛جوليان، المرجع السابق:٣٦٢/١ .(حدث هذا في زمن حكم الامبراطور Maurice (٥٨٢-٦٠٢م).

(٢) حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس (تونس:بدون تاريخ)، ص٣٢، إبراهيم أحمد العدوي، بلاد الجزائر، تكوينها الاسلامي والعربي (القاهرة:١٩٧٠)، ص٦٢، جوليان، المرجع السابق: ٣٦٢/١.

(٣) صقر، المرجع السابق، ص ٣٩٩.

كانت حكومة بيزنطة بحاجة كبيرة الى الاموال، وقد نهكتها الحروب المستمرة مع الفرس، وأدت الى افلاس خزينتها، فضلاً عن حاجتها للمال من أجل دفع رواتب الجند وسد متطلبات بناء الحصون والقلاع[1]. كما ان عمال البيزنطيين، وموظفيهم، كانوا على درجة كبيرة من القسوة والطغيان والطمع، فقد كان همهم الوحيد جمع المال والاثراء، دون الاهتمام بأمور البلاد العامة، فقد ذكر أن هذه الوظائف كانت تباع بأثمان مرتفعة، لذا كان على الحاكم، أو الموظف أن يبذل ما في وسعه، من أجل تعويض ما دفعه للحصول على هذه الوظيفة، وذلك بفرض الضرائب الباهظة على سكان البلاد الوطنيين[2].

ومما زاد في سوء الأوضاع، الخلافات المذهبية، سياسة الاضطهاد الديني للمسيحيين من الأهالي، تلك السياسة التي كان منشؤها الاختلاف بين المذهب الرسمي الذي يوجب القول بمشيئة واحدة، أي أن في المسيح طبيعة واحدة، وهي الطبيعة الالهية، الغالبة على الطبيعة البشرية، وبين المذهب الشعبي، الذي يوجب القول بأن في المسيح طبيعتين متحدتين، ولكنهما غير ممتزجتين، ولا تتأثر احداهما بالأخرى، بل ان الطبيعة الآلهية، ظلت ابداً الهية، والطبيعة البشرية ظلت ابداً بشرية[3]، وهذه الأوضاع أدت الى استفزاز السكان المحليين، واندلاع العديد من الثورات الوطنية، التي قادها عدد من الشخصيات الوطنية، أمثال (بيداس **Labas**)، ملك اوراس في نوميديا[4] و(كوتزيناس **Cotzinas**) في المزاق، الذي حارب بطريق أفريقية، (صولومون **Solomon**)، مردداً قوله: "ان الله مع الذين يحاربون اللصوص، لاسترجاع أموالهم وأراضيهم"[5] و(انطلاس **Antalas**) الذي

---

(١) دبوز، المرجع السابق: ٤٤٥/١، احسان عباس، تاريخ ليبيا من الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري (بيروت:١٩٦٧)، ص ١٣، ابراهيم أحمد العدوي، المسلمون والجرمان (القاهرة:١٩٦٠)، ص٦١.

(٢) جوليان، المرجع السابق: ٣٦١/١، سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (لبنان:١٩٦٢)، هامش رقم (١)، ص ٢٢.

(٣) راجع:عمر فروخ، العرب والاسلام في الحوض العربي في البحر الابيض المتوسط، (بيروت:١٩٥٩)، ص ٥٢، ٥٣، ٥٤.

(٤) جوليان، المرجع السابق، ٣٦٦/١.

(٥) صقر، المرجع السابق، ص ٣٩٦.

قاد الثورة ضد حلكم طرابلس (سرجيوس **Sergius**) الذي اعتقل رؤساء قبيلة لواتة وقتلهم في قصره،عندما قدموا اليه يشكون ما تعرضوا له من نهب محصولهم، فأخرج له سرجيوس قائده صولومون، واستطاع انطلاس ان يقتله، ويشتت جيشه، في معركة قسرين ٥٤٣م، ويكتسح مدن أفريقية ونوميديا[١]، وقد قاوم البيزنطيون هذه الثورات بالقوة، في سبيل كبح جماحها، وعندما فشلوا في ذلك اتبعوا سياسة (فرق تسد)، بين عناصر السكان، وضربوا بعضهم ببعض، مما ساعد على انتشار الفوضى، وفقدان الأمن، وتدهور الثورة الأهلية[٢].

وقد أدى هذا النزاع بين السكان المحليين، وبين البيزنطيين الى اضعاف سلطة البيزنطيين، ومما زاد الأمر سوء، تضعضع الوضع الداخلي للامبراطورية البيزنطية، بمجيئ اباطرة صغار السن، ضعفاء، لم يملكوا القدرة، والكفاية الادارية لاحكام سيطرتهم على شؤون الامبراطورية، وممتلكاتها، فبعد موت الامبراطور (هرقل **Heraclius**)، تولى (قسطنطين الثاني **Constantin II**) الحكم سنة ٦٤١م، وهو لم يزل دون سن المراهقة، وقد شجعت هذه الظروف على قيام الحركات الانفصالية، ضمن السلطة البيزنطية نفسها، فقد اعلن البطريق (جرجير **Gregory**)، الحاكم البيزنطي في أفريقية سنة ٦٤٦م استقلاله، ونصب نفسه امبراطوراً على الممتلكات البيزنطية في المغرب[٣] مستغلاً قضية اختلاف المذهب الديني غطاءاً لطموحه السياسي، بتشجيع من قسس أفريقية، وبابا روما (ثيودوسيوس الأول **Theodusus I**)، فقد كان أهل أفريقية كأهل روما يقولون بالمشيئتين، بينما كان المذهب الرسمي في القسطنطينية، يوجب القول بمشيئة واحدة[٤].

---

(١) ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ (الدار البيضاء:بدون تاريخ): ٨٤/١، صقر، المرجع السابق، ص٣٩٦، ٣٩٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٩٧.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، نشر تشارلس توري، (نيوهيفن:١٩٢٠)، ص١٨٣؛ابن ابي دينار، ص ٢٦، جوليان، المرجع السابق: ١٠/٢.

(٤) فروخ، العرب والاسلام في الحوض الغربي في البحر الأبيض المتوسط، ص ٥٥، مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص ٤٧.

ثالثاً: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية

يشكل البربر العنصر الأساس والغالب لسكان قبيل الفتح العربي الاسلامي الذين سنأتي على ذكرهم تفصيلاً، إضافة الى أقليات سكانية من الأفارقة والروم والبيزنطيين المحتلين الذين أسلفنا الحديث عنهم.

وقد تعددت الآراء بشأن الأفارقة، لا سيما حول أصلهم وجنسيتهم، فثمة من يرى أنهم ينتمون الى العرق أفريقي الزنجي[١] وهناك من يعتقد أنهم من البربر الذين خالطوا الروم، وصاهروهم، وكونوا نسلاً مولداً، لا هو بالرومي، ولا بالبربري الخالص[٢]، ويرى (جوتيه E.F Gautier) أنهم من بقايا الشعب القرطاجي القديم[٣]، وهناك إشارات عند بعض المؤرخين العرب تؤيد انتمائهم الى اصول بيزنطية[٤] ولهذا يبدو ان الافارقة كانوا عنصراً خليطاً، من بقايا الأمم التي احتلت بلاد المغرب كالرومان، والوندال، والبيزنطيين[٥].

استوطن الأفارقة بشكل كبير في المناطق الساحلية، حول مدينة برقة[٦]، وفي مدينة قابس التي وصفها ابن خرداذبة بأنها مدينة الأفارقة الأعاجم[٧]، وعند منطقة مدينة

---

(١) عبد اللطيف محمود البرغوثي، تاريخ ليبيا الاسلامي، من الفتح حتى بداية العصر العثماني (بيروت:١٩٧١)، ص٣٢.

(٢) محمد مصطفى بازامة، تاريخ ليبيا (بيروت:بدون تاريخ): ٥٦/٨.

(٣) E. F. Gautier , Lepass , de Afrique Nord , Paris , 1973. p.100.

(نقلاً عن مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص٥).

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص ٢١٨؛ ابن خلدون، العبر: ١١٩/٦، السلاوي: ١٠٨/١.

(٥) انظر:طه، الفتح والاستقرار، ص ٥١، شكري فيصل، حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول (بيروت:١٩٨٠)، ص ١٨٠؛حسن علي حسن، تاريخ المغرب العربي (القاهرة:بدون تاريخ)، ص١٣؛ سالم، المغرب الكبير: ١٣٣/٢؛عباس، تاريخ ليبيا من الفتح حتى مطلع القرن التاسع الهجري، ص١٠؛ لقبال موسى، المغرب الاسلامي (قسطنطينية:١٩٦٩)، ص ١٥.

(٦) البكري، المغرب، ص ٥.

(٧) ابن خرداذبة، المسالك والممالك (ليدن:١٨٨٩)، ص ٨٦، البكري، المغرب، ص ١٧.

المنستير[1] وتوغل قسم منهم في الداخل في المنطقة التي تقع فيها مدينة فاس الحالية في المغرب الأقصى في مكان يدعى بعقبة الأفارقة[2].

أما البربر فهم السكان الأصليون، وقد أطلقنا عليهم في ثنايا هذا البحث أيضا أسم السكان المحليين، لأنهم يمثلون الغالبية العظمى، من العناصر البشرية التي استوطنت في شمال أفريقية.

وقد اختلف الكتاب في لفظة البربر، وأصلها، ومن الذي أطلقها، على سكان المغرب، فمنهم من فسرها تفسيرا لغويا على أساس أنهم يتكلمون لبغة تختلط فيها الأصوات غير المفهومة فقيل لهم: ما أكثر بربرتكم، فسموا بالبربر[3]، منهم من زعم أن كلمة البربر جاءت من انتسابهم الى بربر أحد أجدادهم[4].

ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف، فالظاهر أن هذه اللفظة دخيلة، لم يطلقها البربر على أنفسهم، بل أخذوها عن الرومان، وهي مشتقة من لفظة (Barbari) اللاتينية، التي أطلقها الرومان على الأقوام التي لا تتكلم اللغة اللاتينية، أو اليونانية، إذ أن البربر كثيرا ما كانوا يسمون أنفسهم بالأمازيغ، ومعناها: الرجال الاحرار[5].

وكما اختلف الكتاب العرب في لفظة البربر، فانهم اختلفوا أيضا في الأصول التي انحدروا منها، والمناطق التي جاءوا منها الى المغرب، وقد تعددت وتباينت الآراء في

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٤.

والعقبة: تعني طريقا في الجبل وعرة، أو هي جبل طويل يتميز بالصعوبة والشدة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، طبعة مصورة، عن طبعة بولاق، (القاهرة:بدون تاريخ): ١١١/٢.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٣١ ؛ابن خلدون، العبر: ٨٩/٦.

(٤) المصدر نفسه: ٨٩/٦.

(٥) جوليان، المرجع السابق: ١٢/١، صقر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، ص٣٤؛ ابن عبود، تاريخ المغرب (تطوان:١٩٥٧): ٢٣/١، سهيل زكار، عقبة بن نافع، مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة الثالثة، عدد ٣١، آيار ١٩٨١، ص ٢٣.

هذا المجال، لكن معظم هذه الآراء على الرغم من اختلافها، تشير الى ان البربر ينتسبون الى أصول كنعانية، أو حميرية هاجرت من الجزيرة العربية الى المغرب[1]، ويعضد هذا ان نسابة البربر أنفسهم يرجعون بعض القبائل البربرية الى أصول عربية، فقد ذكر ابن خلدون ان نسابة لواته، ينسبون أنفسهم الى حصير، وهوارة الى كندة، أما نسابة زناتة فينسبون أنفسهم الى العمالقة والى حمير[2].

ونظراً لسياسة التفرقة التي اتبعها المستعمرون الاوربيون، فقد اشاعوا ان أصل البربر أوربي-آري، وان الدماء البربرية، ما هي الاّ مزيج من الدماء الحامية، والدماء الآرية، وكان هدفهم من وراء ذلك توجيه أنظار البربر نحو أوربا، وبث التفرقة بين العرب والبربر، واحكام السيطرة على المغرب، واقناع البربر بأنهم والعرب جنسان متباعدان، ليست ثمة صلة تربط بينهم، في حين أن العرب والبربر ما هم الاّ أبناء عمومة، يرجعون الى أصل واحد[3] وان مسار الحضارة العام في المغرب بأصوله الاجتماعية والدينية والثقافية والاقتصادية، ظل مرتبطاً بمسارات الحضارة في المشرق العربي، وبات تاريخ المغرب العربي جزءاً لا يتجزأ من تاريخ المشرق العربي[4].

وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين العرب في أصول البربر، نراهم جميعاً يتفقون في تصنيفهم الى مجموعتين كبيرتين، لكل منها نمطها الاجتماعي والاقتصادي والبيئي، فالبعض منهم عرف حياة الاستقرار والتمدن، والبعض الآخر ألف حياة التنقل

---

(١) ابن حبيب، المحبر (رواية ابي سعيد) (بيروت:بدون تاريخ) ص ٣٦٥؛ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٢٢٩؛ المسعودي، مروج الذهب، (بيروت:١٩٧٣): ٩٥/٢، الادريسي، صفة المغرب وأرض السودان والمغرب والأندلس (ليدن:١٩٦٨)، ص٥٧، ابن خلدون، العبر: ٩٣/٦، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (بيروت:بدون تاريخ): ٣٨٤/١؛ القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الأنشا، (القاهرة:١٩٦٣): ٣٦٠/١، ٣٦١.

(٢) ابن خلدون، العبر: ٩٧/٦، وللمزيد من المعلومات عن الاصول العربية للبربر: راجع، عثمان سعدي، الأصول العربية للبربر، مجلة آفاق عربية، السنة الخامسة، العدد ٩، آيار ١٩٨٠، ص ٦-٢٥.

(٣) دبوز، تاريخ المغرب الكبير: ٣٧/١ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٥٢.

(٤) زكار، المرجع السابق، ص ٢٤.

والبداوة[1].

وهناك من يفسر تقسيم البربر على أساس قبلي، يجمعهم جنمان عظيمان، وعلى هذا الأساس قسمت قبائل البربر الى القسمين الآتيين:

القسم الأول: سموا بالبرانس، نسبة الى برنس من بر، والقسم الثاني: سموا بالبتر، نسبة الى مادغيس بن بر، الملقب بالأبتر، والربرانس تجمعهم سبع قبائل، وهي ازداجة، ومصمودة، وأوربة، وعجيسلا، وكتامة، وصنهاجة، واوريغة، وهناك من أضاف اليهم لمطة وهسكورة وكزولة، وهؤلاء ينقسمون الى عدة بطون صغيرة. أما البتر فتجمعهم أربع قبائل رئيسة، وهي اداسة، ونفوسة، وضريسة، وبنولو الأكبر، وهؤلاء أيضاً ينقسمون الى عدة بطون صغيرة[2].

ومن القبائل التي كانت تتميز بالكثرة والقوة زمن الفتح العربي الاسلامي، اوريغة، وهوارة، وصنهاجة من البرانس، ونفوسة، وزناتة، ومطغرة، ونفراوة من البتر، وكانت أوربة تتقدم هذه القبائل لكثرة عددها وشدة بأسها وقوتها[3].

وهناك تفسير ثاني لا يخلو من الطرافة، وهو تفسير لغوي، له علاقة بالزي المغربي "البرنس" فقد اعتقد البعض من المؤرخين المحدثين ان بربر البرانس هم الذين يرتدون البرنس، وهو ثوب طويل يغطي الرأس الى حد القدمين، بينما البتر كانوا يرتدون هذا اللباس بدون غطاء للرأس وهذه الظاهرة لها علاقة بطبيعة البيئة المناخية التي تسكن فيها الفئتان[4].

ولم يكن البربر على وفاق، بل كانوا في نزاع مستمر، بسبب التفاوت والاختلاف

---

(١) ابن خلدون، العبر: ٨٩/٦.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (القاهرة:١٩٧١)، ص٤٩٥،٤٩٦،٤٩٧،٤٩٨؛ ابن خلدون، العبر: ٨٩/٦، ٩٠، ٩١، وانظر:
Encylopacda of Islam,(Neweditions),Art BARANIS , and But R.

(٣) ابن خلدون، العبر: ١٤٦/٦.

(٤) انظر: عبد الحميد العبادي، المجمل في تاريخ الأندلس، نسقه ابراهيم الشريف، وراجعه مختار العبادي، (القاهرة:١٩٥٨)، ص٣٢؛ طه، الفتح والاستقرار، ص٥٣.

في النواحي الاقتصادية والاجتماعية، فلطالما كانت قبائل البربر تشن غزواتها على النواحي العمرانية للبرانس، وهذا النزاع كان له تأثير كبير على الوحدة السياسية للبلاد، مما سهل غزوها واستعمار الشعوب الأخرى لها، فقد استغل كل من الرومان والبيزنطيين هذا الخلاف، وساندوا البرانس ضد البتر، وبثوا التفرقة بينهم، وألبوا بعضهم على بعض، من أجل أن يخلو لهم الجو، ويحكموا سيطرتهم على البلاد[1].

وكانت الديانة الوثنية من عبادة الاصنام، والظواهر الطبيعية كالشمس والقمر، وعبادة الحيوانات، هي الغالبة المنتشرة بين البربر[2]، ولكن الى جانب هذه الديانات انتشرت المسيحية، في مناطق محدودة بين البربر المستقرين في المناطق الساحلية، بحكم خضوع هذه المناطق للسيادة الرومانية والبيزنطية، والاحتكاك بهم ومعايشتهم[3]. وكان للديانة اليهودية وجود في المغرب ايضاً، فقد دان بعض البربر باليهودية، ويذكر ابن خلدون ان البربر اخذوا اليهودية من بني اسرائيل وانتشرت بين قبيلة حراوة في جبل اوراس، ونفوسة في طرابلس، وبعض مناطق المغرب الادنى، وبين قبائل مديونة، وبهلوله، وغيانة، وبنو بازار، من بربر المغرب الاقصى[4]. ويعتقد البعض انها انتشرت ايضاً عن طريق اليهود الذين دخلوا المغرب مع الفينيقيين للتجارة[5]. واشار البعض الاخر الى انها انتشرت في فترة فرار اليهود الى المناطق البربرية التي لا يصل اليها النفوذ الروماني[6].

اما عن توزيع قبائل البربر في المغرب قبيل الفتح العربي الاسلامي، فيمكن تحديده بشكل عام بالصورة الاتية :

---

(١) سالم، المغرب الكبير: ١٣٩/٢؛ابراهيم أحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، (مصر:بدون تاريخ)، ص ٢٢٥.

(٢) البكري، المغرب، ص ١٢، ١٦١، ابن خلدون، العبر: ٩٤/٦.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٦/٦، ١٠٧.

(٤) المصدر نفسه: ١٠٧/٦.

(٥) لومبار، الاسلام في مجده الاول، ص ٨٤.

(٦) بازامة، تاريخ ليبيا، ٥٩/٨.

في الاقاليم الشرقية، أي في كل من برقة وطرابلس، كانت تسكن بشكل كبير في برقة قبيلة لواته[1]، والى جانبها قبيلة هوارة[2]، وقد مارست هذه القبائل مهنة الرعي، وتربية الاغنام، لما كانت تتميز به ارض برقة من خصب وكثرة مراع، ومارست ايضاً مهنة التجارة بشكل كبير مع المناطق المجاورة، لاسيما مصر، وكان اهم صادراتها الاغنام، وكان اكثر ذبائح اهل مصر من غنم برقة، ومن صادراتها ايضاً الصوف، والعسل، والشمع، والزيت والقطران والفلفل[3]. وكانت زويلة في المناطق الجنوبية من برقة، محطة شهيرة لملتقى القوافل التجارية، فقد كانت متاخمة لبلاد السودان، وكانت مشهورة بتجارة الرقيق الذي يجلب اليها من بلاد السودان[4].

اما في اقليم طرابلس، فكانت قبائل هوارة[5]. ونفوسة[6]، ولواته[7]، ونفرة[8]، ومزاته[9]، وزواغة[10] وقد استقر قسم من هذه القبائل في المناطق الساحلية في كل من

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٢٢٩ ؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، قدم له وعلق عليه، محمد صادق آل بحر العلوم (النجف:١٩٧٤): ١٦٣/١؛ ابن خرداذبة، ص ٩١، البكري، المغرب، ص٥؛ الادريسي، ص ٥٧؛ ابن الاثير، الكامل: ٢٦/٣؛ ابن خلدون، العبر: ١٠٣/٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٠٣/٦، ١٤٣.

(٣) ابن حوقل، ص ٦٩، البكري، المغرب، ص ٥، مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد (الاسكندرية:١٩٥٨)، ص ١٤٣؛ ابو الفدا: تقويم البلدان، ص ١٢٧.

(٤) البخي، صورة الاقاليم، مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب، جامعة بغداد، (رقم٣٢٩)، ورقة ٣١؛ البكري، المغرب، ص١٠، ١١؛ الادريسي، ص ١٣٣، الاستبصار، ص ١٤٦؛ الحموي، معجم البلدان: ١٦٠/٣؛ القزويني، آثار البلاد واخبار العباد، (بيروت: ١٩٨٠)، ص٩٤.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا والاندلس (بيروت: ١٩٦٤)، ص ٢٨؛ ابن خرداذبة، ص ٩١؛ ابن حوقل، ص٧١؛ المسعودي: ٩٥/٢؛ الانصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، (الايبزك: ١٩٢٣)، ص ٢٦٧.

(٦) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا والاندلس، ص ٢٨؛ ابن الاثير، الكامل: ٢٦/٣؛ الانصاري، ص ٢٦٧؛ ابن خلدون، العبر: ١١٤/٦.

(٧) البكري، المغرب، ص٥ ؛ الانصاري، ص٢٦٧؛ ابن خلدون، العبر: ٩٦/٦.

(٨) المصدر نفسه: ٩٦/٦.

(٩) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ١٦٣/١،١٦٤؛ الانصاري، ص ٢٦٧.

(١٠) ابن خلدون، العبر: ١٢٩/٦.

مدينة طرابلس، وسرت، ولبدة، واجدابية، ومارست مهنة التجارة، فقد كانت تعد من المواني المهمة على البحر المتوسط، ومن صادرات هذه القبائل الشب السرتي، والصوف والزيت[1].

اما في اقليم افريقية (المغرب الادنى)، فقد عاشت فيه العديد من قبائل البربر المختلفة، ففي نواحي قابس استقرت كل من لواته، ونفوسة، ولماية، ومزاته، وزواغة، وزوارة[2]، وهناك بعض الفروع الصغيرة التي تعود الى هوارة قرب مربجانة[3]، وقبيلة رداجة عند مدينة بلجة[4]، وسكنت قبيلة مصمودة واروبة في بونة[5]، واستقرت فروع صغيرة من زناتة، ونفزة وورغروسة في مدينة تيجس[6]، وفي المناطق الجنوبية من تونس الحالية، وهي المناطق التي تسمى بقسطنطينية، او ببلاد الجريد لكثرة نخيلها، وهي مدينة نفطة، وتوزر، وقفصة، وبسكرة، فقد استقرت بها قبائل من كتامة[7].

اما في غرب تونس وشرق الجزائر، فقد استقرت في قسنطينة الزراعية فروع صغيرة من قبائل ميله ونفراوة[8]، وزوادة وكتامة وهوارة[9].

وقد اشتهرت مدن المغرب الادنى بكثرة منتجاتها الزراعية، ولا سيما الزيتون الذي كان يحتل المرتبة الاولى بالنسبة لمنتجات المغاربة الزراعية، وهو مورد عيشهم بالدرجة الاولى، فقد كان يصنع منه الزيت ويصدر الى مصر والمغرب وصقلية[10]. وتشير

---

(١) ابن حوقل، ص ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢ ؛ البكري، المغرب، ص٦، ٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٤ ؛ الحموي، معجم البلدان: ١٠٩/٥.

(٤) البكري، المغرب، ص ٥٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٥.

(٦) المصدر نفسه، ص ٦٣.

(٧) المصدر نفسه، ص ٦٣ ؛ ابن خلدون، العبر: ١٠١/٦.

(٨) البكري، المغرب، ص ٦٣.

(٩) ابن خلدون، العبر: ١٠٢/٦.

(١٠) ابن حوقل، ص ٧٣؛ البكري، ص ٢٠؛ الادريسي، ص ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩.

احدى الروايات العربية الى ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح عندما فتح افريقية سنة ٢٧هـ/٦٤٧م، ورأى كثرة الذهب والفضة، قال لاهلها: "من اين لكم هذا ؟ فجعل الرجل منهم يلتمس شيئاً من الارض، حتى جاء بنواة وزيتون، فقال من هذا اصبنا الاموال، لان اهل البحر والجزر ليس لهم زيت، وكانوا يمتارونه من هنا"[١].

والى جانب الزيتون اشتهرت مدن المغرب بزراعة الفستق، الذي كان يصدر الى مصر، وشبه جزيرة ايبريا، فقد كانت قفصة اكثر بلاد افريقية انتاجاً لمحاصيل الفستق[٢]، والتين[٣]، واللوز، والجوز، والزعفران[٤] وكذلك اشتهرت بزراعة الحبوب كالحنطة[٥]، والشعير، والحمص، والعدس[٦]، وبزراعة الكتاب[٧]، كما اشتهرت بتصدير الصوف[٨]، والملح ايضاً الى البلاد المجاورة، اذ كان بالقرب من المنستير ملاحة عظيمة تشحن فيها السفن بالملح[٩].

واستوطن منطقة جبل اوراس عدد من القبائل، منها جرادة، وهي فرع من قبيلة زناته، وقد كانت من اعظم قبائل البتر شدة وباساً[١٠] وقبائل اوربة[١١]، وهوارة، ومكناسة، وكتامة[١٢]، ولمواتة، وبعض فروعها، مزاته، وتريسة[١٣].

---

(١) ابن عذاري: ١٢/١.

(٢) البكري، المغرب، ص٤٧؛ الحموي: ٣٨٢/٤؛ الاستبصار، ص١٥٣؛ القزويني، ص ١٧٣.

(٣) المقدسي، ص ٢٢٧ ؛ البكري، المغرب، ص٤١، ٧٥ ؛ العمري، ص٤؛ القزويني، ص ١٧٣.

(٤) المقدسي، ص٢٢٧؛ البكري، ص٤١؛ القزويني، ص ١٧٣.

(٥) ابن حوقل، ص ٨٦؛ المقدسي، ص٢٢٦؛ البكري، المغرب، ص٤٧،٥٦؛ الحموي، معجم البلدان: ٣١٤/٥؛ العمري، ص٤.

(٦) ابن حوقل، ص٨٦، العمري، ص٤.

(٧) ابن حوقل، ص٧٧؛ ابن سعيد المغربي، الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، (بيروت: ١٩٧٠)، ص١٢٧.

(٨) ابن حوقل، ص ٧٧.

(٩) البكري، المغرب، ص ٣٦.

(١٠) ابن خلدون، العبر:١٠٩/٦.

(١١) البكري، المغرب، ص ٥٠.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٧٣، ١٤٤ ؛ ابن خلدون: ١٤٨/٦.

(١٣) البكري، المغرب، ص١٤٤، ١٤٥ ؛ ابن سعيد المغربي، الجغرافيا، ص ١٤٥.

ويصف ابن سعيد المغربي سكان هذا الجبل بانهم اهل تمرد وعصيان، لا يدخلون تحت طاعة سلطان لامتناع جبلهم، ولامتلاكهم الرجال والاسلحة[1]، ومعظم قبائل هذه المنطقة تمارس مهنة الرعي والتنقل[2].

واغلب القبائل التي استوطنت في المغرب الاوسط كانت تنتمي الى قبيلة زناته، وفروعها المتعددة، فقد كانت مدينة تلمسان قاعدة المغرب الاوسط، دار مملكة زناته[3]، والى جانب زناته استوطنت بعض القبائل الاخرى، منها مديونة، ومفيلة، وكومية، ومطغرة، ومطماطة[4]، التي سكنت مدينة تيهرت[5]، ومطرة التي نزلت في الاقاليم الساحلية شرقي مصب نهر الملوية[6]، والى الشرق قليلاً منها كانت مواطن كومية عند تخووم ارسكول وتلمسان[7]. اما مغيلة فقد استقرت عند مصب وادي شلف[8]، وسكنت قبيلة مديونة بنواحي تلمسان[9].

وكانت كل من قبيلتي لماية ولواته تنتقلان في المناطق الجنوبية الصحراوية[10]، اما في المناطق الشرقية من الجزائر الحالية، أي عرب بجاية وسطيف فقد استقرت قبيلة كتامة[11]. وبالقرب من مصب نهر شلف وعلى واديه استقرت قبيلة بلكانه، وهي من

---

(١) الجغرافيا، ص١٤٥.

(٢) البكري، المغرب، ص١٤٤،١٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٦، ٧٧ ؛ ابن خلدون، العبر: ١٠٢/٦.

(٤) المصدر نفسه، ١٠٢/٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦٧.

(٦) المصدر نفسه، ص ٨٧، ٨٨.

(٧) ابن خلدون: ١٢٦/٦.

(٨) المصدر نفسه: ١٢٥/٦.

(٩) المصدر نفسه: ١٢٥/٦.

(١٠) المصدر نفسه: ١١٧/٦، ١٢٠.

(١١) ابن حوقل، ص٨٧، ٩٣؛ البكري، ص٦٥، ٧٠، ٨٢؛ الحموي، معجم البلدان: ٢٢٠/٣؛ ابن خلدون، العبر: ١٤٨/٦.

اعظم فروع قبائل صنهاجة[١] واستقرت قبيلة زواعة في مدينة سميت باسم النهر، مدينة شلف[٢]، اما قبيلة مكناسة، فقد استقرت في مدينة تيهرت[٣]، وقبيلة هوارة في قلعة سميت بقلعة هوارة، غربي مصب نهر شلف[٤].

لقد مارست قبائل هذا الاقليم بشكل رئيس مهنة التجارة، الى جانب مهنة الزراعة، في المناطق الشمالية، ومهنة الرعي في المناطق الجنوبية، فالقبائل التي انتشرت شمالا، كانت على علاقات تجارية مع بلدان مختلفة، لاسيما مع شبه جزيرة ايبريا، وقد استمرت في تجارتها هذه في العهود الاسلامية، وكانت تنس من اكبر المدن التي يعبر اليها الاندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم[٥]، وكانت مدينة تلمسان مركزا شهيرا لتجارة قبائل زناتة، ومقصد لتجار المناطق المختلفة، حيث كانت مدينة فكان القريبة من تلمسان سوقا قديمة من اسواق زناتة[٦]. وكانت مدينة وهران احد مراسي تلمسان، ومتجرا لتلك النواحي[٧]، ومن اهم صادرات هذه المنطقة، الحنطة والشعير[٨]، والقطن[٩]، والكتان[١٠] والسفرجل[١١]، والاغنام والابقار[١٢]، والزيت[١٣]، والحديد[١٤] والنحاس[١٥].

---

(١) البكري، المغرب، ص٦٥، ٦٨؛ ابن خلدون، العبر: ١٥٢/٦.

(٢) البكري، المغرب، ص ٦٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٦٧.

(٤) المصدر نفسه، ص٦٩؛ الانصاري، ص٢٣٧.

(٥) ابن حوقل، ص٧٨.

(٦) البكري، المغرب، ص٧٧، ٧٩.

(٧) العبدري، رحلة العبدري (الرباط: ١٩٦٨)، ص ٢٧٨.

(٨) ابن حوقل، ص٧٩، ٨٥.

(٩) المصدر نفسه، ص٨٥ ؛ البكري، المغرب، ص ٦٩؛ الادريسي، ص ٩٣.

(١٠) البكري، المغرب، ص ٦٥.

(١١) ابن حوقل، ص٧٨، ٨٩.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٧٨، ٨٥.

(١٣) البكري، ص٦٩.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٧٠.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٨٣.

أما القبائل المنتشرة في المناطق الجنوبية الصحراوية، فقد مارست التجارة مع بلاد السودان، فمدينة واركلان على سبيل المثال، كانت مشهورة بتجارة الرقيق الذي كان يجلب من ارض السودان[1].

وفي اقليم المغرب الاقصى استوطنت قبائل صنهاجة ومصمودة بشكل كبير، وتركزت في جبال درن، التي تسمى اليوم بجبال اطلس، وقد مارست هذه القبائل مهنة الزراعة، والرعي، لتميز ارض هذا الجبل بالخصب وتوفر الميله[2]، وسكنت قبيلة غمارة، وهي فرع من قبيلة مصمودة جبال الريف التي عرفت ببلاد غمارة[3]، وفي منطقة سواحل البحر المتوسط[4]، لاسيما المنطقة المحصورة بين سبتة وطنجة[5]، وقد سكنت قبائل اخرى الى جانب هذه القبيلة، منها صنهاجة[6]، وكتانة[7]، وهوارة[8]، واوربة[9]، ولواتة[10].

لقد مارست هذه القبائل مهنة الزراعة وكذلك مهنة التجارة بشكل كبير، وكانت طنجة وسبتة اهم مرفأين على البحر المتوسط، واهم مركزين تجاريين، بين شبه جزيرة ايبريا وشمال المغرب الاقصى، واشتهرت سبتة بتجارة المرجان[11]. والى جانب هذين لمرفأين كان هناك العديد من المراسي التي تقابلها مراسي اخرى في الجهة المقابلة من شبه جزيرة ايبريا وعلى سبيل المثال، فمرسى كرط، يقابله مرسى قرية يلس، ومرسى الجون

(١) ابن سعيد المغربي، الجغرافيا، ١٢٦.

(٢) البكري، ص١٦٠؛ الادريسي، ص٦٤؛ ابن خلدون، العبر: ١٠١/٦، ٢٢٣.

(٣) البكري، المغرب، ص١٠٠؛ الاستبصار، ص١٩٠.

(٤) البكري، المغرب، ص ٩٠، ٩١، ١٠١، ١٠٢.

(٥) المصدر نفسه، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠؛ الادريسي، ١٧٠، ١٧١؛ الاستبصار، ص ١٣٦.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٠٤، ١٠٧، ١١٠؛ ابن خلدون، العبر: ١٠١/٦.

(٧) البكري، المغرب، ص ١٠٤، ١٠٩، ١١٠.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٠٦، ١١٢.

(٩) ابن خلدون، العبر: ١٠١/٦ ؛ السلاوي: ٧٣/١.

(١٠) البكري، المغرب، ص ١١٢، ١١٣.

(١١) ابن حوقل، ٧٦، ٧٩ ؛ الادريسي، ١٦٧، ١٦٨ ؛ الاستبصار، ١٣٨.

يقابله مرسى المنكب[1]. ومرسى ميلة، يقابله مرسى مدينة شلوبينية[2].

اما الفروع الاخرى من قبائل مصمودة فهي قبيلة برغواطة، التي استوطنت المناطق الممتدة من وادي سبوالي جنوب نهر ام الربيع، والتي تسمى بالسوس الادنى[3]، وقد مارست هذه القبائل مهنة الزراعة، وكانت اهم منتجاتها الحنطة والشعير[4]، الى جانب ممارستها مهنة التجارة مع المناطق المجاورة[5]، وقبيلة ركالة التي استوطنت الاقليم الذي يمتد بين وادي تنسيفت، ومصب وادي السوس[6].

اما قبائل مكناسة فقد انتشرت في اعالي وادي نهر الملوية قرب مدينة سجلماسة[7]، وفي المناطق التي تقع الى القرب من نهر العلوية استوطن العديد من القبائل، منها أوربة، ومغيلة، وصنهاجة، وكتامة، ولواتة، وغمارة، ومطماطة، وهوارة، ومكناسة، وقد مارست هذه القبائل الزراعة لخصب الاراضي وتوفر الميله[8]. الى جانب ممارستهم لمهنة التجارة، بحكم موقع سكناهم على طرق القوافل التجارية القادمة من الجنوب باتجاه الشمال، ومن الشرق باتجاه الغرب وبالعكس[9].

اما بالنسبة لزناتة، فالبعض منها والمسمى بوطاط سكن عند وادي الملوية، والبعض الآخر استقر في نواحي تادلا قرب مراكش[10].

---

(١) البكري، المغرب، ص ٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٩.

(٣) ابن حوقل، ص ٨٢، ٨٣.

(٤) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان (ليدن: ١٨٨٥)، ص٨٤.

(٥) ابن حوقل، ص ٨٣.

(٦) الحموي، معجم البلدان: ٤٥٩/٢ ؛ الاستبصار، ص ٢٠٩.

(٧) ابن خلدون، العبر: ١٠٢/٦.

(٨) المقدسي، ص ٢١٩ ؛ البكري، المغرب، ص ١١١، ١١٣، ١١٤، ١١٧.

(٩) البكري، المغرب، ص ١١٧، ١٤٠، ١٤٢، ١٥٥.

(١٠) ابن خلدون، العبر: ١٠٢/٦، ١١٨.

واستوطن قسم من قبائل صنهاجة المتمثلة بلمتونة، ومسوفة، وكذالة في منطقة سلجلماسة، ووادي درعة، ووادي السوس، اما الغالبية العظمى منهم فتوغلت في المناطق الجنوبية من الصحراء الكبرى، وكانوا يسمون بالملثمين، وجاءت هذه التسمية من وضعهم اللثام على وجوههم، وكان هؤلاء يمارسون مهنة رعي الابل، وهم في غاية البداوة، ومعيشتهم على نتاج ابلهم من اللبن واللحوم، وهم لا يعرفون الزراعة، ولا المنتوجات الزراعية، فهم لم يشاهدوا الدقيق والخبز الا لدى التجار الذين كانوا يتاجرون مع بلاد السودان، ويمرون بمناطقهم، فيطعمونهم الخبز ويتحفونهم بالدقيق، وكانوا على درجة من الشدة والبسالة والفروسية[1]. وبحكم موقع هذه القبائل على طرق القوافل التجارية المارة بين شمال المغرب الاقصى وجنوب الصحراء، فقد سيطروا على هذه الطرق، وفرضوا الضرائب على القوافل التجارية تؤخذ عن كل جمل وحمل، مقابل السماح بالمرور من اراضيهم[2]، وكانت اودغست محطة تجارية مهمة لالتقاء طرق القوافل التجارية المارة بين شمال المغرب الاقصى، وجنوب الصحراء، وكانت لحكام اودغست علاقات قوية جداً بحكام غانا، بحكم حاجة سكان غانا الملحة للملح، الذي كان يبادل بالذهب، فقد كان الملح والذهب اهم مادتين في التجارة الصحراوية، الى جانب السلع الاخرى المحمولة الى الصحراء والسودان، كالنحاس المسبوك، والقمح، والثياب الملونة، ويقابل ذلك استيراد العنبر، والشب، والرقيق، والعاج، والابنوس، وانياب الفيلة، والجلود الشركسية[3].

ان هذا الازدهار الاقتصادي النسبي، دفع بعض السكان المحليين المنتفعين من هذا الوضع، سواء في مناطق الداخل او في المناطق الساحلية الى الوقوف بوجه أي تغيير يمكن ان يحدث نتيجة لدخول قوة خارجية الى المغرب، لاعتقادهم ان ذلك سوف يؤثر سلباً على مصالحهم التجارية، ويجعلهم يفقدون مزاياهم الاقتصادية التي ينعمون في ظلها،

---

(١) ابن حوقل، ص٩٧، ٩٨، ٩٩؛ ابن خلدون، العبر:٦/١٥٢، ١٥٣؛ القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان (القاهرة: ١٩٦٣)، ص ١٧١.

(٢) ابن حوقل، ص٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٨ ؛ البكري، المغرب، ص ١٥٨، ١٥٩، ١٦٣؛ الزهري، ص ١٩٩، ٢٠٠.

لاسيما التجارة، التي تعد المحور الاساس لاقتصادهم، وهكذا لعب هذا العامل دوره الفعال في مقاومة بعض السكان المحليين للجيش العربي الاسلامي، حال دخوله المغرب لاول مرة .

وبالاجماع يتضح من وصف الاوضاع العامة التي اشرنا اليها آنفاً، ان المغرب قبيل الفتح العربي الاسلامي كانت تعمه الاضطرابات المستمرة والتفكك الداخلي، والانقسامات المذهبية، ثورات السكان المحليين الدائرة على السلطات البيزنطية، ترافقها احياناً حركات انفصالية، يقوم بها بعض الولاة البيزنطيين في المغرب عن السلطة المركزية، مما اضعف السيادة البيزنطية على بلاد المغرب، ومهد الاوضاع لدخول العرب المسلمين، وطردهم للنفوذ البيزنطي منها .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني
المحاولات الأولى للفتح العربي للمغرب

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني

المحاولات الاولى للفتح العربي للمغرب

ترجع البدايات الاولى لفتح المغرب الى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ سنة ٢١هـ/٦١١م، فبعد ان تم لعمرو بن العاص فتح مصر والاسكندرية، واصل سيرة غرباً نحو برقة[١]. وقد دعته الى ذلك الضرورة العسكرية والدفاعية لتأمين الفتح العربي الاسلامي لمصر بوجه خطر البيزنطيين، فقد كان من المحتمل ان يتخذوا برقة قاعدة هجومية على العرب الفاتحين من اجل استرجاع مصر، بعد ان ثبت لابن العاص ان هناك اتصالات جرت بين حاكمي الاسكندرية وبرقة، فقد اشار الواقدي الى استعانة حاكم الاسكندرية بحاكم برقة في أثناء الفتح العربي لمصر، إذ أرسل الاول هدية ورسالة للثاني ، يعلمه

---

(١) برقة: مدينة كبيرة وقديمة من بناء الروم، تقع في صحراء حمراء القرية، كانت قبل الفتح العربي الاسلامي تسمى انطابلس، أي المدن الخمسة، ولما فتحها العرب المسلمون سموها ببرقة، لكثرة ما فيها من الحجارة المختلطة بالرمل.

انظر: الاستبصار، ص١٤٣، المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص٣٤٧، ابن سعيد المغربي، الجغرافيا، ص١٤٧، العبدري، رحلة العبدري، ص٨٧، ابو الفدا، تقويم البلدان، ص١٢٧.

بوصول العرب الى مصر، وانتزاعها من سلطة البيزنطيين، وطلب منه العون والنجدة[1]. وقد عرض حاكم برقة الهدية والرسالة على ارباب دولته، واستشارتهم في الامر، فنصحوه ان ينصر صاحب الاسكندرية، خوفاً من توجه العرب الى بلادهم ايضاً، فأجابه الى ذلك، وامر ابن اخيه اسطفانوس ان يمضي في اربعة الاف مقاتل لمعاونة صاحب الاسكندرية ومساندته[2]. يضاف الى ذلك ما كان بين اهل برقة ومصر من علاقات قوية، حتى ان بعض قبائلهم عدت نفسها من سكان مصر الاقباط[3]. ولهذا فقد كان لابد لفلول الجيش المنهزم من الاسكندرية ان تتجة الى برقة، وتستجمع قواها هناك لشن الهجوم على مصر من اجل استرجاعها، وهذا هو ما دفع ابن العاص لمتابعة سيره، والتوجه نحو برقة، الى جانب الدافع الاساس، وهو نشر الاسلام، وتحرير الاجزاء الباقية في الشمال الافريقي.

لقد توجه ابن العاص الى برقة، على رأس جيش يقدر بنحو اربعة الالف مقاتل، من مختلف القبائل التي اسهمت في فتح مصر، وبشكل خاص اولئك الذين يسمون بالمدويين الذين جاءوا مع الزبير بن العوام، لا سيما العشائر اليمانية من مهرة، وحضرموت، وخولان، ومعافر، ولخدم، والصدف[4]، ومن ضمنهم عشائر من الحجاز، مثل فهر وبني عبد العزى من قريش، والانصار[5]، وقد سلك هذا الجيش الطريق المحاذي

---

(١) الواقدي، فتوح الشام (بيروت: بدون تاريخ): ٤٨٢.

(٢) المصدر نفسه: ٤٨٢، وانظر:

Goodchild, R.G., Byzantines Berbers and Arabs in 17th century, Libya Antiquity, 1967, Vol.41. p.120.

فقد ذكر ان الوحدات العسكرية البيزنطية التي كانت موجودة في برقة تقلصت بسبب ارسال بعض المجموعات لمواجهة تقدم العرب في مصر.

(٣) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٤٩٨.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص١١٨،١١٩،١٢٢،١٢٨، وانظر: طه، الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا، ص١١١.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص٦١، ٩٣، وانظر: طه، الفتح والاستقرار، ص١١١.

للساحل، ودخل الى برقة سنة ٢١هـ/٦٤١ م[١]، دون ان يلاقي اية مقاومة تذكر، وصالح عمرو بن العاص اهلها، الذين كانوا من قبيلة لواته البترية، التي يصفها ابن خلدون "بطن عظيم متسع من بطون البربر البتر"[٢]، على جزية مقدارها ثلاثة عشر الف دينار[٣].

وتشير المصادر الى حسن طاعة اهل برقة، حتى انهم كانوا يرسلون الجزية الى مصر حين يستحق دفعها، ويشير ابن عبد الحكم الى ذلك بقوله:

"لم يكن يدخل برقة يومئذ جابي خراج، انما كانوا يبعثون بالجزية اذا جاء وقتها"[٤]. ويؤكد البلاذري هذه الرواية ويضيف ان اهل برقة كانوا أخصب قوم في المغرب واكثرهم حباً للسلام[٥].

وتجدر الاشارة هنا الى امر مهم وهو لماذا لم يقاوم بربر لواتة الذين تميزوا بقوتهم، وشدة باسهم ومقاومتهم للروم البيزنطيين، العرب الفاتحين ؟ لقد تباينت الآراء والاسباب التي قدمها المؤرخون المحدثون حول ذلك، فمنهم من ذكر ان السبب هو ان بربر لواتة كانوا سلخطين وكارهين لحكم البيزنطيين وتعسفهم، فارادوا التخلص منهم[٦]. واشار باحث آخر الى ان السبب في ذلك يعود بالدرجة الاولى الى انتشار الفساد

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة:١٩٧٠): ١٤٤/٤؛ الكندي، كتاب الولاة والقضاة، ص١٠،٩؛ الورثيلاني، نزهة الانظار في علم التاريخ والاضبارة، تح: محمد بن ابي شلب (بيروت:١٩٧٤). ص٢٢١ .

(٢) العبر : ١١٦/٦.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية والاندلس، ص٢٩؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٢٥، (ويذكر ان فتح برقة جاء بعد حصار ومقاومة من قبل اهلها)؛ البلخي، صورة الاقاليم، ورقة ٢٩؛ قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي (بغداد: ١٩٨١)، ص٣٤٢.

(٤) فتوح افريقية والاندلس، ص٣٠.

(٥) فتوح البلدان، ص٢٢٦.

(٦) سالم، المغرب الكبير: ١٤٣/٢؛ عباس، تاريخ ليبيا من الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، ص١٤،١٥.

والانحلال في الادارة البيزنطية، يضاف الى ذلك ان البربر ذاقوا الاضطهاد القاسي على ايدي رجال الدين الارثذوكسي[1]. وقد عزا فريق ثالث السبب الى ضعف بربر لواتة بسبب النزاع المستمر بينهم وبين الحكام البيزنطيين، فليس من المنتظر ان يظهروا اية مقاومة امام الفاتحين العرب بعد ان عرفوا قوتهم ابان فتحهم للاسكندرية، والطليعة التي ارسلها عمرو الى بلادهم بقيادة عقبة بن نافع قبل الفتح[2]، وأخيراً فقد علل احد المحدثين سبب قبول اهل برقة للعرب الفاتحين، بأن معظم سكان هذه المنطقة كانوا من العرب الذين جاءوا على شكل قبائل هاجرت من الجزيرة العربية الى الصحارى الليبية، ونتيجة لهذه القرابة فقد توصلوا الى تفاهم سريع مع ابناء عمومتهم[3].

وتبدو معظم هذه الاسباب معقولة لان عدم مقاومة بربر لواتة للعرب يعود بالتأكيد الى نظام الحكم البيزنطي، وتعسفه الشديد في فرض الضرائب والاضطهاد الديني، فما ان جاء الفتح العربي الاسلامي، حتى وجدوا فيه الفرصة المناسبة للتخلص من الحكم البيزنطي، كما وجدوا في الدين الاسلامي ما يلبي حاجاتهم اليومية، ومما يؤكد هذا القول حسن طاعة اهل برقة، واستمرار ولائهم للعرب الفاتحين خلال الفترات التي توقف فيها العرب عن فتحهم للمغرب، في الوقت الذي كان بامكانهم فيه ان ينقضوا العهد مع العرب لو ارادوا ذلك.

اما عن الموقف البيزنطي من الفتح، فيبدو غامضاً، ولم تشر اليه المصادر، وقد ارجع الدكتور ابراهيم بيضون ذلك الى ضعف الوجود البيزنطي وتلاشيه بسبب ثورات بربر لواتة المستمر عليه، كما ان سقوط الاسكندرية اربك قواتهم، وفوت عليهم الفرصة في منع تقدم العرب بهذا الاتجاه، يضاف الى ذلك ان الثقل العسكري للبيزنطيين كان متركزاً الى الغرب من طرابلس حيث قاعدتهم الشهيرة قرطاجة[4].

---

(١) Good Child , R.G., op. Cit, p. 123 .

(٢) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص٥١،٥٢،٥٥،٥٦؛ نقولا زيادة، صفحات مغربية (تونس: بدون تاريخ)، ص١٤.

(٣) جون جابوت كلوب، الفتوحات العربية الكبرى، ترجمة خيري حماد (بغداد: بدون تاريخ)، ص٤٦٢.

(٤) ابراهيم بيضون، الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة (بيروت : ١٩٨٠)، ص٢٢.

تابع ابن العاص مسيرته من برقة بمحاذاة الساحل الى طرابلس Tripolis [1]، اذ ان نجاحه في فتح برقة بسهولة قدم له برهاناً مقنعاً على استطاعته ان يهيء قواته للهجوم على طرابلس، وفي اثناء سيره الى طرابلس فتح في طريقه مدينة اجدابية[2]، صلحا على جزية مقدارها خمسة آلاف دينار[3]، وتجمع معظم المصادر على وصول عمرو بن العاص الى مدينة طرابلس سنة ٢٢هـ/٤٢م[4]. وكانت حصينة جداً، فامتنعت عن العرب الفاتحين، فحاصرها عمرو بن العاص، فاستنجدت حاميتها البيزنطية بقبيلة نفوسة التي كانت تدين بالنصرانية[5]. ولا يعرف شيء عن موقف نفوسة من طلب الحامية تلبية او رفضاً، ولكن اذا افترضنا انها قدمت لها المعونة فربما كان هذا بسبب تشابه المعتقد الديني، ووجود مصالح اقتصادية مشتركة بين الطرفين، فقد كان بربر نفوسة يمارسون التجارة الصحراوية بين المناطق الداخلية ومنطقة السواحل، ومن هنا جاءت مساعدتهم للروم حماية لتجارتهم واستمراراً لعلاقاتهم مع البيزنطيين في الساحل[6]. وبعد مرور شهر على حصار طرابلس لعبت المصادفة دورها، فقد اكتشف نفر من المقاتلين العرب ثغرة

---

(١) طرابلس: مدينة كبيرة وقديمة تعني المدن الثلاث، وتقع على ساحل البحر المتوسط، يحيط بها سور عظيم مبني من الحجر الصلد، خصبة وعامرة، كثيرة الفواكه والخيرات، يمارس معظم سكانها مهنة التجارة. انظر: البلخي، ورقة٢٩؛ الاصطخري، الاقاليم، ص٢٠؛ الادريسي، صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس، ص٥٤٨؛ الاستبصار، ص١١٠؛ القزويني ، آثار البلاد واخبار البلاد، ٤٠٨.

(٢) اجدابية: مدينة كبيرة تقع في الصحراء بين برقة وطرابلس، وتبعد عن البحر المتوسط اربعة اميال، لها مرسى يسمى بالملحور، تكثر فيها البساتين واشجار النخيل، انظر: البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص٥؛ الادريسي، ص١٣٢؛ الحموي، معجم البلدان: ١٠٠/١.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٠/١؛ وانظر: طه، الفتح والاستقرار، ص١١٢، عباس، المرجع السابق ، ص٢١.

(٤) انظر: ابن عبد الحكم، فتوح افريقية والاندلس، ص٣٠؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٢٧؛ قدامة،ص٣٤٢؛ ابن عذاري:٨/١؛ ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر (مصر: بدون تاريخ)، ١٦٤/١؛ التجاني، رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب (تونس:١٩٥٨)، ص٢٣٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي (النجف:١٩٦٩): ١٩٩/١.

(٥) ابن عذاري:٨/١؛ التجاني، ص٢٣٩.

(٦) طه، الفتح والاستقرار، ص٥٤، ١١٢.

مكنتهم من اقتحام المدينة من خلال الساحل الغربي، ولم ينج من الروم غير من استطاع منهم الهرب الى السفن تجاه البحر[1].

وفي أثناء محاصرة ابن العاص لطرابلس، ارسل جزءاً من جيشه بقيادة بشر بن ابي ارطأة[2] الى ودان[3]، فافتتحها، وكانت عملية بشر هذه تهدف الى تأمين ظهر ابن العاص من الداخل، وضرب تحركات القبائل في تلك المنطقة، ومنعها من القيام بأي عمل من شأنه ان يعيق تقدم الفاتحين العرب، وهذه هي نفس السياسة التي اتبعها عند فتحه لبرقة، وارساله لعقبة بن نافع لفتح زويلة، وان دل هذا على شيء، فانما يدل على عمق تفكير ابن العاص، وبعد بصيرته، كما يقدم لنا برهاناً على ان عمليات الفتوح لم تتم بشكل عشوائي اعتباطي، بل تمت ضمن خطط مدروسة[4].

ما كاد ابن العاص ينتهي من فتح طرابلس حتى عجل بارسال جزء من جيشه الى مدينة صبراتة **Sabrata** الحصينة لفتحها[5]، وكان اهلها قد تحصنوا، واخذوا حذرهم

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية والاندلس، ص٣١؛ ابن الاثير، الكامل: ٢٦،٢٥/٣؛ التجاني، ص١٣٩؛ السلاوي، الاستقصا في اخبار المغرب الاقصى:٧٣/١.

(٢) بسر بن أرطأة: من بني عامر بن لؤي بن غالب بن فهر، يكنى بأبي عبد الرحمن، مختلف في صحبته، شهد فتح مصر واختط بها، وكان من غلاة مؤيدي معاوية، وشهد معه معركة صفين، وكان معاوية قد وجهه الى اليمن والحجاز سنة ٤٠هـ وقيل انه توفي في المدينة ايام معاوية بن ابي سفيان، وقيل في الشام ايام عبد الملك بن مروان.

انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب: ١٥٧/١-١٦٦؛ ابن الاثير، اسد الغابة في معرفة الصحابة (طهران: بدون تاريخ): ١٧٩/١،١٨٠؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق محمد نعيم العرقوس، ومأمون صاغرجي (بيروت: بدون تاريخ): ٤٠٩/٣،٤١٠، دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرين (القاهرة: ١٩٣٣): ٦٣٣/٣، ٦٣٤.

(٣) وودان: جزائر نخل متصلة وعمارات كثيرة تقع جنوب مدينة صبرت، انظر: الادريسي، ١٣٣؛ الحموي، معجم البلدان: ٣٦٦/٥؛ ابن سعيد المغربي، الجغرافيا، ١٢٧.

(٤) قارن: مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص٥٧.

(٥) صبراته: مدينة قديمة وحصينة، تقع بناحية طرابلس على ساحل البحر المتوسط، انظر الحموي، معجم البلدان: ١٨٤/٣؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس (بيروت:١٩٧٥)، ص٣٥٤.

عندما سمعوا بوصول جيش العرب الفاتحين الى طرابلس، ولكن عندما امتنعت عليه طرابلس، ضرب عليها الحصار فشعر اهل صبراته بالامان، ولم يعبأوا بجيش المسلمين، ولكن ما ان انتهى ابن العاص من فتح طرابلس حتى باغتهم بجنده، فانتصر عليهم، ودخل مدينتهم من بواباتها وغنم ما فيها[1].

وعزم ابن العاص على مواصلة الفتح غرباً، فكتب الى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يستأذنه في فتح افريقية بقوله " ن الله قد فتح علينا طرابلس وليس بينها وبين افريقية الا تسعة ايام، فان رأى امير المؤمنين ان يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل"[2] وقد اشار ابن عذاري الى هذا، ولكن روايته احتوت على اضافات تصور لنا قوة واستعداد العدو، وفي هذا ما يوحي بان مواصلة الفتح كان يقضي امدادات كبيرة[3]. وقد رد الخليفة علي بن العاص بالرفض، وقال "لا انها ليست بافريقية، ولكنها المفرقة، غادرة، مغدور بها، لا يغزوها احد ما بقيت"[4]. وقد جاء هذا الرد متفقاً مع ما هو معروف عن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ من حرصه الشديد على جيش العرب المسلمين، وعدم السماح بزجه في ميادين بعيدة عن مركز الخلافة، لان ظروف الدولة الناشئة لم تكن تسمح بذلك، اضاف الى هذا ايضاً صعوبة طبيعة المنطقة نفسها، وبعد مراكز امدادات الجيش وتموينه[5].

ولهذا كله لم يكن من الحكمة السياسية والعسكرية ان تتقدم وتتوغل الجيوش العربية الى غربي مصر قبل ان تركز اقدامها فيها، وقد ثبتت صحة وجهة نظر الخليفة عندما وصل كتاب المقوقس الى عمرو بن العاص يبين له فيه ان الروم يريدون نقض العهد الذي بينه وبينهم[6]، فعاد مسرعاً الى مصر، بعد ان ترك عقبة بن نافع حاكماً على

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية والاندلس، ص٣١-٣٢؛ ابن الاثير، الكامل: ٢٦/٣؛ التجاني، ص٢١٢؛ السلاوي: ٧٣/١.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٢.

(٣) البيان المغرب: ٨/١

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٢.

(٥) كلوب، الفتوحات العربية الكبرى، ص٤٦٣؛ حسن، تاريخ المغرب العربي، ص٢٨.

(٦) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٢؛ وانظر، محمد العروسي المطوني، سيرة القيروان (تونس:١٩٨١)، ص١١.

برقة[1]، ولكن ابن العاص لم يتخل نهائياً عن بلاد المغرب، بل كان يبعث باستمرار حملات استطلاعية، لتقصي اخبار المنطقة، ومعرفة احوالها ومراكز الضعف والقوة فيها، وقد أشار ابن عبد الحكم الى ذلك بقوله: "كان عمرو يبعث الجريدة من الخيل، فيصيبون الغنائم ثم يرجعون"[2]. وكان لعقبة بن نافع دور كبير في الاسهام بهذه الحملات الاستلاعية، كما سنرى فيما بعد.

ولكن وبعد ان تولى عثمان بن عفان ﷺ الخلافة قام بعزل عمرو بن العاص من ولاية مصر سنة ٢٥هـ/٦٤٥م، واسندها الى اخيه في الرضاعة عبد الله بن سعد بن سعد ابن ابي سرح[3]. وقد سار ابن ابي سرح على خطى عمرو بن العاص نفسها في ارسال السرايا الاستطلاعية، يغيرون على اطراف افريقية، فيصيبون كثيراً من الغنائم[4]. ولابد ان هذه السرايا، ويستأذنه في فتح افريقية، وكان الخليفة متردداً في موافقته، ولكنه في النهاية، وبعد ان استشار الصحابة في امر الفتح، ووافقوه على ذلك، اذن له بأفتتاحها[5]، وقد جهز الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ابن ابي سرح بجيش ضم العديد من القبائل العربية في الحجاز والمدينة من عشائر جهينة، واسلم، ومزينة، وبني سليم، وبني الديل، وغفار، وعبد مناة، وغطفان، وفزارة، ومهرة، وبني كعب بن عمرو[6]، وضم هذا الجيش نفراً كثيراً من الصحابة، منهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن العباس، وعبد الله بن عمرو[7]. وقد اسند قيادة الجيش الى الحارث بن الحكم لحين وصوله الى مصر، حيث يتسلم القيادة هناك ابن ابي سرح[8]، وفي مصر التحق الكثير

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٢٦؛ الحموي، معجم البلدان: ٤٢٠/٤؛ النويري، نهاية الارب: ١١/٢٢، قد٢.

(٢) فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٣٣.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية والاندلس، ص٣٤، ابو العرب، طبقات علماء افريقية وتونس، ص٦٥، المالكي، رياض النفوس: ٨/١، ابن عذارى : ٩/١ .

(٥) البلاذرى، فتوح البلدان، ص٢٢٨، ابو العرب، ص٦٦-٦٧، النويري:٢/٢٢، قد٢، السلاوي:٧٥/١.

(٦) ابو العرب، ص٦٩، الملكي: ١٠/١، النويري:٣/٢٢، قد٢، وقارن: طه، الفتح والاستقرار، ص١١٣.

(٧) البلاذرى، فتوح البلدان، ص٢٢٨، ابو العرب، ص٦٨، قدامة، ص٣٤٣، ابن عذارى: ٩/١، النويري:٢/٢٢-٣، قدم.

(٨) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٦، ابن عذارى: ٩/١، النويري: ٣/٢٢، قد٢،

من رجال القبائل العربية بهذا الجيش، واغلبهم من عشائر مهرة، وغنث، وهيدعان من الازد[1]، وعندما وصل الجيش الى برقة التحقت به الحامية العربية هناك بقيادة عقبة بن نافع الفهري[2].

وتشير المصادر الى ان عدد الجيش الذي خرج به ابن ابي سرح بلغ عشرين الف مقاتل[3]. ولا شك في ان هذا العدد مبالغ فيه، وهذه ظاهرة عامة نجدها عند معظم مؤرخينا القدامى، اذ اننا لو احصينا عدد رجال القبائل المشاركين بهذه الحملة تذكره المصادر، لحصلنا على ما يقارب خمس الالف وسبعمائة وخمسين رجلاً[4]، ويذكر ابن اعثم الكوفي رقماً مقارباً لهذا العدد ن ويشير الى ان عدد الجيش الذي توجه من المدينة الى مصر بلغ اربعة الاف وثمانمائة مقاتل[5]، ويصل الى عشرة الاف مقاتل اذا اضيف اليه جيش مصر وحامية برقة، وقد اورد كل من الطبري وابن كثير هذا العدد ايضاً[6].

وسار ابن ابي سرح بجيشه الى افريقية سنة ٢٧هـ/٦٤٧م[7]، سالكاً الطريق الساحلية ماراً بطرابلس التي كانت قد نقضت العهد، بعد فتح عمرو ابن العاص لها،

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٧.

(٢) ابن الاثير، الكامل: ٨٩/٣، ابن خلدون، العرب: ١٢٩/٢، السلاوى: ٧٥/١ .

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب/ص٢٤٧، ابو العرب، ص٧٠، المالكي: ١٠/١، الدباغ، معالم الايمان في معرفة اهل القيروان: ٣٣/١، الذهبي، دول الاسلام، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم (القاهرة:١٩٧٤): ٢١/١، الديار بكرى، تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس (مصر:١٩٠٥)، ٣٥٥/١٠ .

(٤) انظر طه، الفتح والاستقرار، ص١١٣، عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي: ١٤٩/١.

(٥) ابن اعثم الكوفي، الفتوح (حيدر آباد:١٩٦٩)، ١٣٤/٢ .

(٦) الطبري: ٢٥٦/٤، ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، (بيروت: ١٩٧٤): ١٥٢/٧، وانظر: طه، الفتح والاستقرار، ث ١١٣-١١٤ .

(٧) البلاذرى، فتوح البلدان، ص٢٢٨ (يذكر بأن هذه الحملة حدثت سنة ٢٧هـ ويقال سنة ٢٨هـ او٢٩هـ)، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ١٥٣/٢، الطبري: ٢٥٣/٤، (ويضيف ان ابن ابي سرح قام بحملة سابقة لافريقية سنة ٢٥هـ)، المالكي: ١٠/١، ابن عذارى: ٩/١، ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب (بيروت: دون تاريخ): ٣٦/١.

وتحصنت، فلم يضيع ابن ابي سرح الوقت وينهك جيشه عندها، بل تركها بعد ان اصابت فيها طليعة جيشه مراكب للبيزنطيين راسية على الساحل، ثم مر بقابس[1]، فوجد البيزنطيين قد تحصنوا فيها، فكرة الوقوف وتركها وراءه، ثم توجهت الحملة الى سبيطة[2]، Sufetula حيث كان الحاكم البيزنطي جرجير Gregory معسكراً هناك، وتشير المصادر الى ان هذا الحاكم كان قد خلع طاعة بيزنطة، واعلن استقلاله، ونقش صورته على الدنانير[3]، وامتد سلطانه بين طنجة وطرابلس[4]، وكان جرجير على اهبة الاستعداد لملاقاة العرب الفاتحين، منذ ان وصلت جيوشهم الى برقة وطرابلس، وتألف جيشه الذي غالى المؤرخون في عدده، من البيزنطيين الموجودين في افريقية، وجموع غفيرة من السكان المحليين[5]، والتقى المسلمون بجيش جرجير، عند موضع يدعى عقوبا[6]، على بعد يوم وليلة من سبيطلة، وقبل ان يحتدم القتال بين الفريقين، ارسل ابن ابي سرح رسله الى جرجير يدعوه الى الاسلام، او اداء الجزية، فامتنع واستكبر[7]، فبدأ القتال، واستمرت المعركة اياماً، انتهت بهزيمة البزنطيين، ومقتل جرجير، ودخول العرب الفاتحين

---

(١) قابس: مدينة كبيرة قديمة، تقع على ساحل البحر المتوسط، تحف بها الغابات من جميع جهاتها، كثيرة البساتين والمزارع، لها ارباض واسعة، واسواق عامرة، يكثر فيها الصوف، وصناعة الحرير ودبغ الجلود، ويحيط بها سور وخندق، يملأ بالماء في حالة تعرضهم لاي هجوم من قبل العدو، انظر: ابن حوقل، ص٧٢، الادريسي، ص١٠٦، ١٠٧، الاستبصار، ص١١٢،١١٣، التجاني، ص٨٦،٨٧،٨٨ .

(٢) سبيطلة: مدينة من مدن افريقية، وكانت بمثابة عاصمة لها، بدلاً من قرطاجنة، لانها مقر الحاكم البيزنطيني جرجير، وهي مدينة حسنة المنظر، كبيرة الحجم، كثيرة المياه، والبساتين، والجنان، انظر: الادريسي، ص١١٠، الحموي، معجم البلدان: ١٨٧/٣ .

(٣)ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٦ .

(٤) المصدر نفسه، ص٢٤٦، ابن اعثم الكوفي: ١٣٥/٢، قدامة، ص٣٤٤، ابن خلدون، العبر: ١٢٩/٢.

(٥) ابن الاثير، الكامل: ٨٩/٣، ابن خلدون، العبر: ١٠٧/٦ .

(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٢٨، قدامة، ص٣٤٤، النويري: ٤/٢٢، قد ٢ .

(٧) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٥٣/٢، ابن اعثم الكوفي: ١٣٥/٢، الدباغ: ٤٠/١، النويري: ٤/٢٢، قد٢، السلاوي: ٧٥/١.

سبيطلة[1]، ثم اخذ ابن ابي سرح يبث السرايا في ارجاء المغرب الادنى، فبلغت قصور قفصة[2]، ومرجانة[3]، وتابعت فلول الجيش البيزنطي المنهزم الى حصن الاجم[4] Thysderas وحاصرتهم هناك[5].

وعندما رأى اهل افريقية انهم لا يملكون القدرة على مواجهة العرب الفاتحين عرضوا على ابن ابي سرح الصلح، مقابل دفع مبلغ كبير من المال، قدره مليونان ونصف مليون دينار[6]. او ثلاثمائة قنطار من الذهب بشرط ان يغادر العرب بلادهم[7]. وقد وافق ابن ابي سرح على ذلك، وعاد مسرعاً الى مصر.

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٦، قدامة، ص٣٤٤، المالكي:١٣،١٢/١، ابن عذارى: ١٢/١، ابن خلدون، العبر: ١٠٨/٦ .

(٢) المالكي:١٣/١، ابن عذارى: ١٢/١، ابن خلدون، العبر: ١٢٩/٢، النويري: ٧/٢٢ ، قد ٢ .

وقفصة: احدى مدن بلاد الجريد ،وهي مدينة كبيرة وقديمة في بنائها، يحيط بها سور حصين، مبني من الصخر، تقع وسط الطريق بين قابس والقيروان، وتشتهر بكثرة نخيلها وزيتونها، انظر: الاستبصار، ص١٥٠، الانصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص٢٣٨، العمري، وصف افريقية والمغرب والاندلس، ص٦.

(٣) النويري: ٧/٢٢، قد٢؛ الحميري، ص٥٤٠.

ومرجانة: قرية بافريقية لقبيلة هوارة البربرية، تكثر فيها الاسواق الحسنة، ويذكر انها كانت مدينة كبيرة قديمة فيها آثار للاول، وبها عيون كثيرة، وهي ذات خيرات وفيرة. انظر: ابن حوقل، ص٨٤؛ الحموي، معجم البلدان: ١٠٩/٥، الحميري، ص٥٤٠ .

(٤) حصن الاجم: او ما يطلق عليه بقصر الجم او قصر الكاهنة، وهو من اعظم واقدم حصون افريقية، وكان مبنياً على شكل مستدير من صخور منحوتة ومحكمة الوضع، يبلغ ارتفاعه مائة ذراع، انظر: البكري، المغرب ،ص٣٧، العبدري، ص٢٣٧،٢٣٨، الاندلسي، الحلل الهندسية في الاخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب السهيلة (تونس: ١٩٧٠): ٣٢/١، قد٢، الحميري، ص١٣.

(٥) التجاني، ص٥٨، ابن خلدون، العبر: ١٢٩/٢؛ النويري، ٧/٢٢، قد٢، السلاوي: ١٧٦/١ .

(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٢٨، ٣٢٩، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي:١٥٤/٢، ويذكر ان مقدار الجزية كانت (٢٠,٥٢٠,٠٠٠) دينار، ويتفق معه كل من الطبري وابن اعثم الكوفي. انظر: الطبري: ٢٥٦/٤، ابن اعثم الكوفي: ١٣٦/٢، ابن الاثير ، الكامل: ٤٤/٣؛ ابن كثير: ١٥٢/٧ (ويذكر بأن ابن ابي سرح صالح بطريق افريقية على (٢,٢٠,٠٠٠) دينار ابن خلدون، العبر: ١٢٩/٢، النويري: ٧/٢٢، قد٢.

(٧) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٢٨، الطبري: ٢٥٦/٤، قدامة، ص٣٤٤ .

وهنا قد يطرح سؤال، وهو لماذا عاد ابن ابي سرح الى مصر، ولم يستغل النصر الذي حققه في مواصلة فتوحاته؟ أكان هدفه هو الحصول على الغنائم فقط، لذا اكتفى بالعرض المغري الذي قدمه له اهل افريقية، نظير ترك البلاد؟ ام ان هناك اسباباً اخرى تكمن وراء عودته؟.

لقد ادرك ابن ابي سرح ان مواصلة الفتح، وتثبيت اقدام العرب في افريقية ليس بالامر الهين، فمعركة سبيطلة لم تفتح الابواب امام العرب لفتح افريقية، بل اقتصرت على فتح جزء محدود منها، ومن اجل تحقيق ذلك كان لا بد من السير الى الشمال والسيطرة على قرطاج[1]، والكثير من القلاع والحصون البيزنطية المنتشرة على الساحل[2]، ولكن ابن ابي سرح لم تكن لديه القدرة الكافية التي يمكن ان يواجه بها جيش البيزنطيين شمال البلاد، وقبائل البربر في جنوبها، فقد خشي من ان يقوم البيزنطيون بقطع خط الرجعة عليه، وشن هجوم مضاد[3]، بعد ان بعدت الشقة بينه وبين مركز الامدادات في مصر، يضاف الى ذلك انه كان من غير المحتمل في ذلك الوقت المبكر ان يكون العرب راغبين بتأسيس قاعدة ثابتة في المغرب[4]. لذا فقد اكتفى ابن ابي سرح بالانتصار الذي حققه، والغنائم الكبيرة التي حصل عليها المقاتلون، وتشير المصادر الى ان نصيب الراجل بلغ الف دينار، والفارس ثلاثة آلاف دينار[5]، وعاد الى مصر، بعد

---

(١) قرطاج: مدينة قديمة من بنيان الفينيقيون، تقع على البحر المتوسط، ويحيط بها سور عظيم، تحوي على الكثير من الاثار العظيمة، وعجائب البنيان.

انظر: الاستبصار، ص١٢١،١٢٢،١٢٣،١٢٤، الزهري، الجغرافيا، ص١٩٩؛ ابن عذارى: ٣٤/١، ٣٥.

(٢) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص٩٩ .

(٣) المالكي: ١٧/١، الدباغ: ٤٢/١؛ وانظر د محمد محمد زيتون، الفتح الاسلامي لشمال افريقية، مجلة المؤرخ العربي، العدد السادس عشر، القسم الاول، بغداد ١٩٨١، ص٥٨٥٧.

(٤) طه، الفتح والاستقرار، ص١١٥.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٧، ابو العرب، ص٧٢،٧١؛ الكندي، ص١٢؛ ابو طاهر المقدسي، البدء والتاريخ (شالون:١٩١٦): ١٩٩/٥؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد (الكويت:١٩٦٠): ٢٩/١؛ ابن كثير: ١٥٢/٧.

ان قضى سنة وشهرين[1]، ويقال سنة وثلاثة اشهر[2]، في هذه الحملة دون ان يقوم بأية اجراءات عسكرية او ادارية، من شأنها ان تثبت اقدام العرب الفاتحين هناك[3].

ولكن على الرغم من ان هذه الحملة لا تعدو ان تكون حملة استطلاعية، طويلة الامد، الا انها لم تخل من بعض النتائج المهمة، فقد كانت ضربة قوية للبيزنطيين، اذلتهم، وكسرت شوكتهم، بحيث لم تعد لهم تلك القوة التي كانوا عليها قبل الفتح العربي الاسلامي[4]، يضاف الى ذلك اقبال بعض زعماء البربر على اعتناق الاسلام[5]، ويعد هذا كسباً كبيراً للعرب المسلمين.

ويشير ابن عذارى نقلاً عن مختصر عريب للطبري الى ان ابن ابي سرح عاد لفتح افريقية ثانية سنة ٣٣هـ/٦٥٣م، حين نقض اهلها العهد[6]، ولكن المصادر لم تتطرق الى نصوص أي عهد تم بين ابن ابي شرح واهل افريقية، سوى الاتفاق على دفع المال من قبل اهل افريقية، مقابل الرجوع عن بلادهم، كما ذكرنا سابقاً[7]، ويحتمل ان هذا الاتفاق قد احتوى على بنود لم تشر اليها المصادر، وربما لم تعد هذه الحملة كونها غزوة صغيرة، اذ لا يوجد لها ذكراً او صدى لدى المؤرخين الأوائل، كابن عبد الحكم والبلاذري.

وفي سنة ٣٤هـ/٦٥٤ م حدث اشتباك بحري بين البيزنطيين والعرب المسلمين، بسبب هجوم الاسطول البيزنطي بقيادة قسطنطين بن هرقل على شرقي البحر، ويذكر ان سبب هذا الهجوم هو فتح العرب لافريقية، ودارت المعركة بين الفريقين وكانت

---

(١) المالكي: ١٧/١؛ ابن عذارى: ١٣/١.

(٢) النويري: ٨/٢٢، قد٢، السلاوي: ٧٦/١ .

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٧، البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٢٩، قدامة، ص٣٤٤.

(٤) المالكي: ١٣/١؛ ابن عذاري: ١٢/١؛ وقارن: جوليان، المرجع السابق: ١٧/٢؛ حسين مؤنس، فجر الاندلس (القاهرة:١٩٥٩)، ص٣٧.

(٥) ابن خلدون، العبر: ١٠٨/٦، السلاوي: ١/ ٧٦.

(٦) البيان المغرب: ١٤/١.

(٧) انظر فيما سبق، ص٦٧.

نتيجتها هزيمة البيزنطيين، وانتصار العرب، وقد سميت هـذه المعركـة بـذات الصـواري؛ لكثرة صواري المراكب واجتماعها[1].

وقد توقفت الفتوحات بعد ذلك بسبب اضطراب الاحوال الداخلية للخلافة في المشرق، على اثر الفتنة التي ادت الى مقتل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ سنة ٣٥هـ/٦٥٥م، وما اعقبها من صراع بين الخليفة علي بن ابي طالب ﷺ، ومعاوية بـن ابـي سـفيان[2]، ولكن ما ان استقر الامر لمعاوية، وبويع بالخلافة سنة ٤١هـ/٦٦١ م، حتى قام باعادة عمرو بن العاص الى ولاية مصر ثانية، فاستئنفت الحملات على المغرب من جديد[3].

ولا توجد معلومات عن نشاط كبير او مميز لعمرو بن العاص في المغـرب خـلال ولايته الثانية على مصـر، سـوى قيامـه بارسـال بعـض الحمـلات الصغـيرة الى برقـة وطرابلس، ويرجع السبب الى الاضطرابات والمشكلات التي كانت تعاني منـها الخلافـة الاموية في المشرق[4]، وهـي في بدايـة تاسيسـها بحيـث لا تسـمح لهـا بالتفكـير بالقيـام بفتوحات واسعة تحتاج الى قوات عسكرية كبيرة، في الوقت الذي هي بأمس الحاجـة فيـه الى هذه القوات، لتركيز سلطتها وتثبيتها، ولهذا فقد اقتصر ابن العاص على ارسال حملة صغيرة الى برقة بقيادة شريك بن سمي المرادي، لاخضاع قبائل لواتة، فتمت مصالحتهم[5]، اعقبها بحملات اخرى بقيادة عقبة بن نافع الفهري، سـوف نتكلـم عنـها بـالتفصيل في الفصل القادم.

وبعد وفاة عمرو بن العاص سنة ٤٣هـ/٦٦٣م، عين ابنه عبد الله من قبل معاويـة، ثم عزله معاوية وولى أخاه عتبة بن ابي سفيان، وعزلة وولي مكانه عقبة بن عامر الجهني

---

(١) ابن عبد الحكـم ن فتـوح مصـر والمغـرب، ص٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨؛ الكنـدي، ص١٣، ابـن الاثـير، الكـامل: ٣/١١٧-١١٨، (ويضيف ايضاً ان هذه الحملة حدثت سنة ٣١ هـ) .

(٢) ابن عذارى: ١/ ١٥ .

(٣) الكندي، ص٣١-٣٢ .

(٤) انظر: ابن الاثير، الكامل: ٣/ (احداث سنة ٤١ هـ) .

(٥) الكندي، ٣٢.

سنة ٤٤هـ/٦٦٤ م[١]، ثم اتخذ معاوية قراراً بفصل حامية خربتا ونقلها، وخربتا، قرية تقع على الحدود الصحراوية الغربية للدلتا الى افريقية، وعين معاوية بن حديج السكوني قائداً لها، واسند اليه امر مواصلة الفتوح هناك، وجاء تعيينه بهذا المنصب تثميناً لقابليته بوصفه قائداً عسكرياً جيداً، ولكثرة رجال عشيرته في مصر، وجهوده في تأييد الخليفة عثمان ﷺ وبالتالي تأييده ايضاً لمعاوية في صراعه لنيل الخلافة[٢].

ويشير ابن عبد الحكم ،وعنه تنقل المصادر الاخرى الى ان معاوية بن حديج قام بثلاث حملات على افريقية، الاولى حدثت سنة ٣٤هـ/٦٦٤م، والثانية سنة ٤٠هـ/٦٧٠م، والثالثة سنة ٥٠هـ/٦٨٠ م[٣].

اما ابن عذارى فيذكر ان الحملة الاولى كانت سنة ٣٤هـ/٦٦٤ م، اما الثانية فحدثت سنة ٤١هـ/٦٧١م، والثالثة سنة ٤٥هـ/٦٧٥م[٤] وهذا يعني ان الحملتين الاولى والثانية كانتا قد حدثتا في اثناء الفتنة، في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ والحرب الاهلية في عهد الخليفة علي ﷺ وهذا امر يعيد الاحتمال، لان الظروف الداخلية للخلافة لم تكن مشجعة، ومن الطبيعي ان تنعكس هذه الظروف على حركة الفتوح في جميع جبهات الدولة العربية واطرافها، وكذلك فمن الملاحظ على هذه الحملات التشابه الموجود في احداثها ووقائعها، وهذا يعني انها على الاغلب كانت حملة واحدة، حدثت في سنة ٤٥هـ/٦٧٥ م[٥]، بعد تسلم معاوية الخلافة، واستقرار امور الدولة[٦].

---

(١) الكندي، ص٣٤، ص٣٥، ص٣٦، السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (بدون مكان: ١٩٧٩): ٥٨٥/١ .

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص١٠١، ١٠٢، ١٢٢، ١٢٥، الكندي، ص١٥، ١٨، ٢١، وقارن: طه، الفتح والاستقرار، ص١١٦ .

(٣) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦١، ابو العرب، ص٧١، المالكي: ١٨/١، ١٩؛ الدباغ: ٤٤/١، ابن ابي دينار، ص٢٧.

(٤) البيان المغرب:١٤/١، ١٥، ١٦.

(٥) المالكي: ١٧/١، ابن عذارى: ١٦/١، الذهبي، العبر في خبر من غبر: ٥٣/١، ابن خلدون، العبر: ١٠٨/٦، ابن العماد: ٥٤/١، السلاوي: ٧٧/١ .

(٦) للمزيد من المعلومات عن هذه الحملات الثلاث ومناقشتها، راجع: مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩.

ولقد كانت الظروف مشجعة للقيام بهذه الحملة، وذلك بسبب الاوضاع الداخلية لافريقية، واضطراب العلاقة بين السكان المحليين والحكام البيزنطيين وتدهورها، وتشير مصادرنا الى ان نبأ الصلح الذي تم بين ابن ابي سرح واهل افريقية حين وصل الى الامبراطور البيزنطي هرقل غضب لذلك واستكثر المبلغ الذي دفعوه لابن ابي سرح، وارسل اليهم بطريقاً يدعى (اوليمة) فنزل قرطاجنة، واجتمع باهل افريقية ، واخبرهم بما امره به الامبراطور من دفعهم لمبلغ يعادل المبلغ الذي دفعوه للعرب[1]، لكنهم اجابوا البطريق بالرفض بقولهم: "ان الذي كان بأيدينا من الاموال، فدينا به انفسنا من العرب، واما الملك فهو سيدنا، فيأخذ عادته منا"[2]. فقاتلهم البطريق، وطرد الحاكم المدعو (حباحبه او جناحه)، وهو تحريف لاسم جناديه او جناديوس **Gennadus**، الذي كان اهل افريقية قد ولوه عليهم بعد مقتل جرجير[3]، ولكن اهل افريقية استطاعوا ان يتغلبوا على البطريق اوليمه ويطردوه، ويولوا عليهم رجلاً يقال له الاطريون، او الاطيلون[4] ولكن الامور لم تستقر لحباحبة او اجناديوس، ولهذا فقد سار الى الخليفة معاوية في دمشق شارحاً له الظروف والاوضاع المضطربة في افريقية، ومدى ضعف البيزنطيين، وغنى تلك البلاد وخصبها، وطلب منه المساعدة بارسال جيش لانقاذها، وقد انتهز معاوية هذه الفرصة وامر بتجهيز جيش من مصر بقيادة معاوية بن حديج السكوني، الذي سار برفقة حباحبه الى افريقية، ولكن الاخير توفي في الاسكندرية[5]، ويبدو ان اهمية افريقية لم تكن لتخفي على الخليفة معاوية، لا سيما وان ظروف الدولة العربية في ذلك الوقت، واستقرار الامور للامويين، كانت مساعدة على استئناف حملات الفتح في المشرق والمغرب، اما رواية قدوم حباحبة او اجناديوس على الخليفة في دمشق، فهي ان صحت لم تكن الا دافعاً اضافياً حفزه على الاسراع في تنفيذ

---

(١) ابن الاثير، الكامل: ٩٢،٩١/٣، ابن عذارى:١٧/١، النويري، النويري: ٩/٢٢، قد٢، السلاوي: ٧٧،٧٦/١.

(٢) ابن عذارى: ١٧/١.

(٣) ابن الاثير، الكامل: ٩٢/٣، ابن عذارى: ٧١/١، النويري، ٩/٢٢، قد٢، السلاوي:٧٦/١، وانظر: عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي:١٦٨/١، ١٦٩.

(٤) ابن عذارى: ١٧/١، النويري: ٩/٢٢، قد٢.

(٥) ابن الاثير: الكامل: ٩٢/٣، ابن عذارى،١ /٦١، النويري: ٩/٢٢، قد٢، السلاوي:٧٧/١ .

عملية افتتاح افريقية والتوغل الى الغرب من مصر.

وبلغ تعداد جيش ابن حديج عشرة آلاف مقاتل، وكان معظم هذا الجيش يتكون من جند مصر، في حامية حزبتا[1]، ومن اشهر هؤلاء عشائر السكون بقيادة ابن حديج نفسه، وعشائر فهم بقيادة خالد بن ثابت وعشائر لخم بقيادة الاكدرين حمام، وعشائر بلي[2].

اما ما يذكره المالكي وابن عذارى والنويري عن اسهام جند الشام في هذا الجيش، فهو امر مستبعد لان الجند الشامي لم يدخل المغرب ويشارك في فتوحاته الا في عهد عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م)[3]، وقد ضم هذا الجيش عدداً من الصحابة والتابعين من مشاهير مكة والمدينة، منهم عبد الملك بن مروان، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير، ويحيى بن الحكم بن العاص، وجلبة بن عمرو الانصاري[4]، وغيرهم من اشراف قريش.

ومضى ابن حديج بجيشه سالكاً الطريق الساحلية ماراً بمدينة طرابلس التي لم تبين المصادر موقفها من هذه الحملة، ومن المحتمل انها قد استسلمت ونزلت عند حكم ابن حديج، الذي ولى عليها رويفع بن ثابت الانصاري، كما تشير الى ذلك احدى الروايات[5]. وبذلك أمن من انتفاضة اهلها، كما امن طريق رجعته فيما لو اضطر الى الرجوع، وقد تابع ابن حديج سيره حتى دخل افريقية فوجدها مضطربة تماماً[6]، ونزل

---

(١) الكندي، ص٢١، طه، الفتح والاستقرار، ص١١٧.

(٢) ابو العرب، ص٨٢،٨٣، المالكي: ١/٥٩،١٨، ابن الابار، الحلة السيراء، تحقيق سين مؤنس (القاهرة:١٩٦٣):٢/٣٢٢،٣٢٣، الدباغ: ١/٤٣،٩٧،٩٨،١٣٦، النويري:٢٢/٩، قد٢. وقارن: بطه، الفتح والاستقرار، ص١١٧.

(٣) رياض النفوس: ١/١٩، البيان المغرب: ١/١٦، نهاية الارب: ٢٢/٩، قد٢، وانظر: طه، الفتح والاستقرار، ص١١٧.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص١٩٣، المالكي: ١/١٨، الدباغ: ١/٤٣، ابن عذارى: ١/١٦، ابن ابي دينار، ص٢٧-٢٨، النويري: ٢٢/٩، قد٢.

(٥) الاندلسي: ١/٣٧٤، قد٢، التجاني، ص١٢٤.

(٦) ابن عذارى: ١/١٦، النويري : ٢٢/٩، قد٢.

بجيشه عند قمونية، وهي موضع مدينة القيروان[1]، ثم رحل منها الى جبل يقل له القرن او جبل مطور[2]، فاتخذ بالقرب منه مركزاً مؤقتاً لاقامة الجيش واستراحته، وعندما وصلت انباء حملة ابن حديج الى مسامع البيزنطيين.

جهز الامبراطور البيزنطي جيشاً لملاقة العرب الفاتحين، بلغ تعداده ثلاثين الف مقاتل، تحت امرة بطريق يدعى نقفور **Necipore** [3] فأخرج له ابن حديج عبد الله بن الزبير على رأس سرية من الفرسان، وسار حتى نزل في موضع غير بعيد عن سوسة، ولما علم الجيش البيزنطي بقدومه انسحب الى مدينة سوسة[4]، ومن هناك اقلع نقفور هو ورجاله في البحر، وولى هاربا، بعد ان انزل ابن الزبير الهزيمة بقواته[5].

ويبدو ان عدد جيش نقفور مبالغ فيه كثيراً، اذ كيف تتمكن سرية من دحر جيش تعداده ثلاثين الفاً؟ ومهما يكن من امر فقد عزز ابن حديج هذا النصر بنصر آخر، عندما ارسل سرية اخرى لفتح مدينة جلولاء[6] **Gouloutis**، التي تبعد عن القيروان نحو اربعة وعشرين ميلاً.

وقد اختلفت الروايات في فتح هذه المدينة، ومن الذي فتحها، فهناك رواية تذكر

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية والاندلس، ص٤٧-٤٨، ابن الاثير، الكامل: ٩٢/٣، المالكي:١٨/١، الدباغ: ٤٣/١.

(٢) المالكي: ٨/١، الدباغ: ٤٣/١، النويري: ٩/٢٢، قد٢.

(٣) ابن عذارى :١٦/١، النويري :٩/٢٢، قد ٢، السلاوي :١/ ٧٧ .

(٤) سوسة :مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط الذي يحيط بها من ثلاث جهات، أسسها الفينقيون في القرن التاسع قبل الميلاد، وهي مدينة حصينة، يحيط بها سور منيع، يمارس اهلها مهنة التجارة، بشكل رئيس، وهم مشهورون بجودة صناعتهم للملابس المنسوبة الى مدينتهم، والتي تعرف بالملابس السوسية، انظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٢٩ هامش رقم٢، الادريسي ص١٢٥، الاستبصار، ص١١٩، العبدرى، رحلة العبدرى، ص٢٣٨، الانصارى، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص٢٣٥.

(٥) البكري، ص٣٤-٣٥، الاندلسي :٣٠٠/١، قد٢، النويري :٩/٢٢، قد ٢ .

(٦) جلولاء :مدينة صغيرة وقديمة، لها حصن يحيط بها سور تجري في وسطها عين ماء، تكثر فيها البساتين وأشجار الفاكهة والنخيل وتشتهر بكثرة العسل المشهور بطيب مذاقه. انظر :ابن حوقل، ص٨٦، الادريسي، ص١٢٠؛ الاستبصار، ص١١٩ .

ان ابن حديج هو الذي قاد الحملة وفتح المدينة[1]، وأخرى تذكر ان ابـن حديـج ارسل عبد الملك بن مروان على رأس سرية تتكون من الف فارس، وان فتح المدينة كان على يديه[2] وتزعم بعض الروايات ان عامل المصادف لعب دوره في فتـح هـذه المدينـة، وذلك بسقوط احد جوانب سورها فجأة، فبعدما طال حصار هذه المدينة انصرف العـرب عنها، ولكن عبد الملك بن مروان تذكر أنه قد نسي قوسه معلقة على احـرى الاشـجار فعاد ليأخذها فرأى ركنا من اركان المدينة قد تهدم، فصاح في أثـر الجيـش، فعـاد ودخـل المدينة عنوة[3].

وفي رواية اخرى انه لما انصر العرب عن المدينـة بمسـافة غـير طويلـة رأوا غبـاراً شديداً وراءهم، فظنوا ان العدو قد لحق بهم، فكروا راجعين، فـإذا بـأحد جوانـب سـور المدينة قد تهدم، فتقدموا نحو المدينة، ودخلوها بعد قتال شديد وغنموا ما فيها[4]. ويبدو ان روايات سقوط سور المدينة قد بولغ فيها بعض الشيء، ولكن من الواضح ان العرب لو يلاقوا صعوبة في اقتحام هذه الاسوار وهدمها، لأنها لم تكن على درجة كبيرة من القـوة والمتانة، حيث بنيت على عجل، ويمكن ان نشير في هذا المجـال الى رأي جوليـان في هـذه التحصينات فقد وصفها بأنها تمثل القوة الرومانية في حالة انهيارها[5].

وبعد فتح مدينة جلولاء، توجه ابن حديج بالجيش كله شمالاً، وافتتح مدينة بـنزرت **Banzerta** وغنم كثيراً من نواحيها[6]، ولكن ابن حديج شـأنه شـأن القـواد الفـاتحين

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٦١، المالكي :١٨/١، الدباغ :٤٣/١، ٤٤، النويري :١٠،٩/٢٢، قد٢.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٦١، ابن عذارى :١٦/١، النويري :١٠/٢٢، السلاوي :٧٨/١.

(٣) المالكي :١٨/١، الدباغ :٤٤/١، النويري :١٠/٢٢، قد٢ .

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٦١، المالكي :١٨/١، الدباغ ٤٤/١، النويري :١٠/٢٢، قد٢.

(٥) تاريخ افريقيا الشمالية :٣٦٣/١ .

(٦) المالكي :١٩/١ (يذكر بأن هذه الحملة حدثت في سنة ٥٠ هـ)، الدباغ :٤٥/١، السلاوي :٧٨/١، امـا بـنزرت فهي مدينة تقع على البحر المتوسط، لها قلاع حصينة عامرة بالمرافق والاسواق مشهورة ببحيراتها المنسوبة اليها، (بحيرة بنزرت) المشهورة باحتوائها على انـواع كثـيرة مـن السـمك. انظـر : المراكشـي، ص٣٥٢، الادريسي، ص١١٤، القزويني، ص١٥٩ .

الذين سبقوه عاد بجيشه الى مصر سنة ٤٧هـ/٦٦٧م[١] دون ان يقوم بتدعيم الانتصارات التي حققها، في الوقت الذي كانت الظروف مشجعة فيه على ذلك، فالبيزنطية فرض ضريبة جديدة على الاهالي مساوية لما كانوا قد دفعوه لأبن ابي سرح سابقاً، لهذا فقد كانت حملة ابن حديج شبيهة بحملة ابن ابي سرح، أي انها لم تعد كونها غزوة استطلاعية طويلة الامد[٢]..

ويشير بعض مؤرخينا الى ان ابن حديج عدّ حملة الى صقلية قبل فتحه لبنزرت سنة ٤٦هـ/٦٦٦م، بقيادة عبد الله بن قيس ففتحها وأقام المسلمون هناك شهراً، ثم عادوا الى افريقية بغنائم كثيرة ورقيق وأصنام من الذهب والفضة المرصعة بالجوهر[٣] ويبدو انه من غير المحتمل قيام مثل هذه الحملة على صقلية لأن حملة بن حديج كانت حملة برية ولم تكن حملة بحرية، وان مثل هذه الحملة تحتاج الى اسطول قوي لم يكن متوفراً لدى ابن حديج.

وأخيراً لم يكن العرب قد أنشأوا في ذلك الوقت قاعدتهم البحرية في افريقية، مما يسهل عليهم مطاردة العدو في البحر[٤].

وبانتهاء حملة ابن حديج على افريقية، تبدأ مرحلة جديدة من الفتح العربي الاسلامي للمغرب، تتميز عن المراحل السابقة بشكلها المنظم والمستقر وذلك على يد الفاتح الكبير عقبة بن نافع الفهري، الذي عهد اليه بولاية افريقية بعد معاوية بن حديج.

---

(١) ابن عذارى :١٨/١، ابن ابي دينار، ص٢٩.

(٢) انظر: طه، الفتح والاستقرار، ص١١٨.

(٣) ابن عذارى :١٨/١، النويري :١٠/٢٢، قد ٢، الدباغ :٤٥/١، السلاوي :٧٨/١.

(٤) بيضون، الدولة العربية في اسبانيا، ص٣١، وقارن: مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص١٢٦، (ويرجح ان المقصود بهذه الحملة حملة ٢٦هـ لصقلية).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثالث
ولاية عقبة الأولى للمغرب
من سنة ٥٠-٥٥هـ/٦٧٠-٦٧٤م

أولاً : عقبة بن نافع (نسبه وولادته) .

ثانياً : جهود عقبة ونشاطاته في المغرب قبل الولاية .

ثالثاً : ولاية عقبة وبناء مدينة القيروان :

أ- تسمية القيروان .

ب- أسباب بناء القيروان :

١- العامل العسكري .

٢- العامل الديني .

ج- تمصير القيروان .

١- اختيار موضع القيروان :

أ- العامل العسكري الامني .

ب- العامل الجغرافي .

٢-تخطيط القيروان

رابعاً : عزل عقبة عن الولاية .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثالث

ولاية عقبة الاولى للمغرب من سنة ٥٠-٥٥هـ/٦٧٠-٦٧٤م

أولاً : عقبة بن نافع (نسبه وولادته) :

هو عقبة بن نافع بن عبد قيس[١] بن لقيط بن عامر بن أمية بن الظرب بن الحارث، من بني فهر[٢]، بطن من بطون قريش[٣].

ولد في عهد رسول الله محمد ﷺ[٤] ويحدد ابن عذارى مولده قبل وفاة الرسول محمد ﷺ بسنة واحدة[٥]. وهناك رواية ثابتة مخالفة لروايته تذكر أن ولادته كانت قبل هجرة الرسول ﷺ سنة ٦٢١م[٦].

---

(١) البلاذري،انساب الاشراف،تحقيق محمد حميد الله (القاهرة :١٩٥٩) :٣٩٧/١،ابن الاثير،أسد الغابة في معرفة الصحابة :٤٢٠/٣،الذهبي،تجريد اسماء الصحابة (بومباي :١٩٦٩) :٣٨٤/١.

(٢) ابن،جمهرة انساب العرب، ص١٧٨،ابن عذارى،البيان المغرب :١٩/١،وفيه :ابن الطرف مكان ابن الظرب)،والظاهر انه تحريف .

(٣) السمعاني، الانساب،تحقيق رياض مراد (بيروت: بدون تاريخ) :٣٥٢/٩ .

(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب :١٠٧٥/٣، الحموي،معجم البلدان :٤٢٠/٤، ابن الاثير، اسد الغابة: ٤٢٠/٢.

(٥) البيان المغرب: ١٩/١ .

(٦) البلجي،الخلاصة النقية في امراء افريقية،(تونس :١٢٨٣هـ): ص٥،(نقلا عن مؤنس، فتح العرب للمغرب ص١٣٠) الزركلي،الاعلام (بيروت :١٩٦٩) :٣٧/٥.

وأغلب الظن ان هذه الرواية الثانية أصح من الأولى، لأن عقبة دخل مع ابيه نافع ابن عبد قيس مصر، وشهد فتحها، واختلط بها، وكانت بداية فتح مصر سنة ١٨هـ/٦٣٩م . كما عهد اليه من قبل عمرو بن العاص بقيادة حملة لفتح زويلة سنة ٢١هـ/٦٤١م[١] ولهذا يبدو من غير المحتمل أن يدخل عقبة غمار الحرب وعمره (تسع سنوات)، ويتولى قيادة جيش وعمره لا يتجاوز الـ (ثلاث عشرة سنة) .

وكانت لعقبة صلة قرابة بعمرو بن العاص، وقد تباينت الروايات بشأن هذه الصلة، فنسبها فريق من المؤرخين الى ناحية الام، فابن خزم يذكر مثلا أن عقبة هو شقيق عمرو من أمه[٢]، كما ورد ايضا انه ابن خالة عمرو بن العاص[٣].

أما الفريق الاخر فقد جعل هذه الصلة من جهة الاب، وذكر أن عقبة وعمر ولدا عم[٤].

ويرى أحد المؤرخين المحدثين ان لهذه القرابة علاقة كبيرة بظهور عقبة على مسرح التاريخ[٥]. وفي هذا تقليل من أهمية شخصيته، وبخس لقدرته وكفاءته. ومن جهة أخرى

---

(١) ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب،ص٢٣٠،البلاذري،فتوح البلدان،ص٢٢٦،الطبري،تاريخ الرسل والملوك :١٤٤/٤ .

وزويلة :مدينة كبيرة قديمة تقع في وسط الصحراء،متاخمة لأرض السودان،تشتهر بكثرة النخيل،وبتجارة الرقيق الذي كان يجلب اليها من أرض السودان، ويخرج منها الى بلاد افريقية (المغرب الادنى)، وغيرها من البلاد، انظر: الاصطخري،المسالك والممالك تحقيق محمد جابر عبد العال، مراجعة محمد شفيق غربال (القاهرة :١٩٦١)،ص٣٤،البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب،ص١٠-١١، الاستبصار، ص١٤٦، الحموي،معجم البلدان :١٥٩/٣، ١٦٠،القزويني،آثار البلاد واخبار العباد،ص٩٤.

(٢) جمهرة أنساب العرب،ص١٦٣ .

(٣) ابن الاثير،أسد الغابة: ٤٢٠/٣،ابن خلدون،العبرة: ١٠/٣،الزركلي: ٣٧/٥ .

(٤) ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب،ص٢٢٨،الذهبي،سير اعلام النبلاء: ٥٣٣/٣،العسقلاني،الاصابة في تميز الصحابة: ٤٠٩/٦ .

(٥) مؤنس،فتح العرب للمغرب،ص١٣٠ .

لا يمكن لابن العاص، وهو المعروف بذكائه وحنكته العسكرية، أن يضع مصير جيش العرب المسلمين، لاسيما في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بيد عقبة بن نافع لكونه أحد أقربائه فقط، لأن أي اخفاق يصيبه سوف تنعكس آثاره سلبا على ابن العاص نفسه، لأنه لم يحسن التصرف في اختيار قادة أكفاء لجيشه .

والواقع ان اهم الاسباب التي دعت عمرو بن العاص الى اختيار عقبة، هو ما يتمتع به من مقدرة وكفاءة قتالية وقيادية اكتسبها من خلال البيئة العسكرية التي نشأ فيها، فأبوه نافع بن عبد قيس اشترك في فتح مصر، وارسله ابن العاص على قيادة جيش لفتح أرض النوبة في مصر[1] كما كان لقومه من بني فهر من قريش دور مشرف ملحوظ في الفتح .

ومما يؤكد قدرة عقبة وكفاءته عدم استغناء امراء مصر اللذين جاءوا بعد عمر بن العاص عنه، فقد ابقوا في الخدمة من سنة ٢١هـ/٦٤١م، الى سنة ٥٥هـ/٦٧٤م، وفيها عزل عن ولاية افريقية ولم يكن عقاباً له بسبب خطأ كبير ارتكبه، وانما لأسباب اخرى سوف نعرض لذكرها فيما بعد .

ثانياً : جهود عقبة بن نافع ونشاطاته في المغرب قبل ولايته الاولى :

دخل عقبة المغرب اكثر من مرة، تارة قائداً وتارة جندياً مقاتلاً مع بقية المقاتلين. وعندما اكتشف عمرو بن العاص شخصية عقبة العسكرية وما يتميز به من مقدرة قيادية، وشجاعة فائقة، وحماسة شديدة لنشر دين الاسلام، وإعلاء كلمة الله، اختار لقيادة الجيش في حملة لفتح زويلة في عمق الصحراء، وقد تمكن عقبة من فتحها وصارت المنطقة الممتدة بين برقة وزويلة تحت سيطرة العرب المسلمين الفاتحين[2].

---

(١) ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب،ص٢٢٨ .

(٢) ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب،ص٢٣٠ البلاذري،فتوح البلدان،ص٢٢٦،الطبري :١٤٤/٤،البكري، المغرب،ص١٠،الورثيلاني،نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار،ص٢٢١، الاستبصار: ص١٤٧، ابن الاثير،الكامل :٢٠/٣ .

وقبل ان يعود عمرو بن العاص الى مصر بعد فتحه لطرابلس وصبراته، ترك عقبة قائداً على حامية برقة، فظل مقيماً هناك يعمل جاهداً في سبيل نشر الاسلام، ولما عزل الخليفة بن عفان ﷺ وعمرو بن العاص عن ولاية مصر، وولاها عبد الله بن سعد بن ابي سرح سنة ٢٥هـ/٦٤٥م، ابقى الاخير عقبة في منصبه، وعندما سار ابن ابي سرح الى افريقية لفتحها سنة ٢٧هـ/٦٤٧م انضمت حامية برقة بقيادة عقبة بن نافع الى جيشه[١]. وبعد انتهاء حملة ابن ابي سرح عاد عقبة الى برقة، ويبدو انه بقي هنالك مرابطاً، وابن الاثير يشير الى ذلك بقوله: "كان [عقبة] مقيماً ببرقة وزويلة منذ فتحها ايام عمرو بن العاص"[٢].

وعندما آلت الخلافة الى معاوية بن ابي سفيان سنة ٤١هـ/٦٦١م، وعادت ولاية مصر الى عمرو بن العاص استأنف حملاته الى المغرب، فوجه عقبة للقيام بحملات أشبه ما تكون بأعمال استطلاعية لإخضاع قبائل مزاته، ولواته[٣] التي كانت قد أيدت العرب الفاتحين فيما سبق، ولكنها نقضت العهد، وبدأت بمقاومتهم مستغلة بذلك غيابهم وانشغالهم بأحداث مقتل الخليفة عثمان ﷺ وما أعقب ذلك من حرب أهلية.

وفي سنة ٤٢هـ/٦٦٢م قام بحملة اخرى افتتح فيها غدامس[٤]، وقاد عقبة سنة

---

(١) ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب، ٨٩/٣،ابن خلدون،العبر :١٢٩/٢، السلاوي الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى :٧٥/١.

(٢) الكامل في التاريخ :٤٦٥/٣ .

(٣) الكندي،الاوة والقضاة،ص٣٢،ابن عبد البر :١٠٧٥/٣،ابن الاثير،أسد الغابة :٤٢٠/٣،ابن خلدون،العبر: ١٠/٣ السلاوي :٧٨/١ .

(٤) خليفة بن خياط،تاريخ خليفة بن خياط،برواية تقي بن مخلد تحقيق سهيل زكار (دمشق :١٩٦٧): ٢٣٧/١،ابن عبد البر :١٠٧٦/٣،ابن الاثير،اسد الغابة :٤٢٠/٣ ابن خلدون،العبر :١٠/٣،ابن ابي دينار،المؤنس في اخبار افريقية وتونس،ص٣٠،السلاوي :٧٨/١ .

وغدامس: مدينة قديمة تقع في الصحراء الى الجنوب الغربي من مدينة طرابلس على بعد ٥٠٠ كيلو متر،كثيرة النخل،واكثر طعام اهلها التمر والكمأة،ويعتمد اكثر سكانها في معيشتهم على التجارة مع طرابلس وافريقية والسودان ومصر،فهي مشهورة بتجارة الجلود الغدامسية المنسوبة اليها .

انظر: البكري، المغرب،ص١٨٢، الاستبصار، ص١٤٥، ابن سعيد المغربي، الجغرافيا، ص١٢٧، الحميري، الروض المعطار، ص٤٢٧، زيتون، الفتح الاسلامي لشمال افريقيا، ص٦٢، هامش رقم ١.

٤٣هـ/٦٦٣م، حملة ثالثة لإخضاع قبائل هوارة[١]. وفي السنة نفسها افتتح ودان[٢] ومواضع من بلاد السودان[٣]، ثم عاد بعد ذلك الى مصر، وشهد وفاة عمرو بن العاص، ثم رجع الى برقة، ويبدو انه اشترك في حملة ابن حديج التي أشرنا اليها سابقاً[٤] فالمصادر تشير الى ان عقبة قام بحملات في المناطق الصحراوية في سنة ٤٦هـ/٦٦٦م أي في الوقت الذي كان فيها بن حديج مشغولاً بفتح سوسة وبنزرت، فقد أمر عقبة بالتوجه جنوباً لفتح صحراوات طرابلس وافريقية، مما يشير الى ان ابن حديج سار على خطى عمر بن العاص نفسها وسياسته في تأمين ظهره من الخلف[٥].

على الرغم من ان بعض المؤرخين كأبن عبد الحكم، والبكري، الذي ينقل عنه[٦]، يجعلان حملة عقبة هذه ضمن فترة ولايته الاولى، لكن هذا على ما يبدو غير صحيح، لأن القائم بأعمال افريقية وفتوحها في هذه الفترة هو ابن حديج، ولا يجوز تعيين واليين على ولاية واحدة في فترة واحدة، لهذا فمن المحتمل ان هذين المؤرخين قد خلطا بين حملة عقبة سنة ٤٦هـ/٦٦٦م بصفته أميرا وقائدا للجيش، وبين حملته سنة ٥٠هـ/٦٧٠م، بصفته واليا على افريقية.

وقد توجه عقبة من برقة سنة ٤٦هـ/٦٦٦م، ونزل عند مغمداش غربي سرت Sirat، وعسكر بجيشه هناك، ثم استخلف زهير بن قيس البلوي على الجيش، وسار

---

(١) الكندي :ص٣٢،٣٣ .

(٢) ودان :مدينة قديمة تقع الى الجنوب من مدينة سرت،وهي جزائر نخل متصلة وعمارات كثيرة،تشتهر بكثرة تمورها وجودتها ورخص أثمانها،واكثر معيشة اهلها من هذه التمور .

انظر ابن حوقل،صورة الارض،ص٧٠،الادريس،صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس،ص١٣٣،ابن سعيد المغربي،الجغرافيا،ص١٢٧ .

(٣) ابن خياط :٢٣٨/١،ابن عبد البر :١٠٧٧/٣،ابن الاثير،اسد الغابة :٤٢٠/٣،ابن خلدون،العبر :١٠/٣،ابن العماد،شذرات الذهب :٥٣/١،السلاوي :٧٨/١.

(٤) انظر:الفصل الثاني .

(٥) عبد الحميد،تسريح المغرب العربي :١٧٨/١ .

(٦) انظر،فتوح مصر والمغرب،ص٢٦٢، ٢٦٣،٢٦٤،المغرب،ص١٢،١٣،١٤ .

بنفسه، ومعه أربعمائة فارس، وأربعمائة جمل، وثمانمائة قربة ماء، حتى قدم ودان فأفتتحها، لأنها كانت قد ارتدت، ونقضت العهد الذي أبرمته مع بسر بن ابي أرطأة سنة ٣٣هـ/٦٤٣م[١]، ثم تقدم نحو فزان[٢]، وافتتح عاصمتها جرمة[٣]. وقد سهل عليه خضوع جرمة فتح قصور فزان[٤] ثم تقدم نحو خاوار، ويسمى ايضا بـ (واجان)، وهو حصن منيع يقع على ظهر جبل وعر في أول الصحراء الكبرى، وكان يمثل عاصمة أقليم كرار، فنزل عليه وحاصره شهرا، فلم يتمكن من فتحه، فتركه[٥] وتابع سيره الى الامام. وفتح قصور كوار[٦] ثم كر راجعا عن طريق خاوار، لكنه خدع اهله بعدم التعرض له، فاطمأنوا لذلك، وفتحوا أبوب حصنهم، وبعد أيام قفل راجعا اليه، سالكا طريقا غير الطريق التي أقبل منها، حتى طرقهم ليلا، ودخلا حصنهم عنوة، وغنم ما فيه[٧]. ثم انصرف راجعا عن طريق زويلة الى معسكره، في مغمداش، بعد رحلة دامت نحو خمسة أشهر. ولم يطل به المقام في معسكره، بل خرج متوجها غربا، سالكا الطريق الداخلية، مارا بأرض مزانة، وافتتح كل قصر من قصورها، وتوجه نحو المناطق الجنوبية من بلاد الجنوبية من بلاد تونس، فافتتح غدامس[٨]، وقفصة وقسطيلية[٩].

---

(١) ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب،ص٢٦٢،الحموي،معجم البلدان :٣٦٦/٥ .

(٢) فزان: تقع شرقي مدينة ودان،وهي جزائر نخل ومياه،تنتشر فيها الواحات التي تعد امتدادا لواحات القسم الاوسط في الصحراء الكبرى. انظر :ابن سعيد المغربي،الجغرافيا،ص١٢٧،الحميري،ص٤٤٠ .

(٣) ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب،ص٢٦٢-٢٦٣، البكري،المغرب،ص١٣،ابن ابي دينار،ص٣٠ .

(٤) ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب،ص٢٦٣، البكري،المغرب،ص١٣ .

(٥) ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب،ص٢٦٣،البكري،المغرب،ص١٣،الاستبصار،ص١٤٦.

(٦) ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٣،البكري،المغرب،ص١٣،الاستبصار، ص١٤٦،ابن ابي دينار،ص٣٠.

(٧) ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب،ص٢٦٤،البكري،المغرب،ص١٣،الاستبصار، ص١٤٧،ابن ابي دينار،ص٣٠ .

(٨) ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب،ص٢٦٤ .

(٩) ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب،ص٢٦٤،البكري،المغرب،ص١٤،الاستبصار،ص١٤٧،ابن ابي دينار، ص٣٠.

وقسطيلية :احدى مدن بلاد الزاب،أو ما تسمى ببلاد الجريد،تقع على حدود الصحراء،ويطلق عليها ايضا اسم توزر وهي مدينة كبيرة قديمة،لها سور حصين،وحولها ارباض واسعة،وهي اكثر بلاد الزاب تمرا،يصدر منها الى جميع بلاد افريقية، وتكثر فيها أشجار الفواكه،وزراعة انواع البقول.

ويبدو أنه عاد بعد ذلك الى معسكره في مغمداش، وبقي هناك حتى وصله امر الخليفة معاوية بن ابي سفيان بتوليته افريقية، وتشير الروايات الى انه كان مقيما يومئذ في مكان بين برقة وزويلة حينما وصله أمر الخليفة بالولاية[1].

ثالثاً: ولاية عقبة الاولى، وبناء مدينة القيروان:

ابتدأت ولاية عقبة على افريقية سنة ٥٠هـ/٦٧٠م[2]. ولم يأت اختياره من قبل الخليفة معاوية لهذا المنصب اعتباطاً، فقد كان لبقاء عقبة في برقة اكثر من ربع قرن، منذ أن فتحت على يد عمرو بن العاص، وما قام به من حملات لاخضاع قبائل البربر، وبذله للجهود الكبيرة في سبيل تحويلهم الى الاسلام، أثر كبير في تعرفه على تلك المنطقة، وعلى طبيعة سكانها وأحوالهم، وفي الوقت نفسه فقد برهنت تلك التجربة على قدرته وكفاءته. بما قدمه من خدمات جليلة للاسلام والعروبة، ان هذه الميزات مجتمعة كانت هي السبب في لفت نظر الخليفة واختياره لهذا المنصب .

وفور استلام عقبة لامر تعيينه سار من معسكره بمغمداش بجيش كبير يتألف من:-

١- المدد الذي أرسله الخليفة معاوية، والذي بلغ تعداده عشرة الاف مقاتل[3]، وتشير بعض الروايات الى ان هؤلاء المقاتلين كانوا من الجند السوريين، لكن هذا غير محتمل لأن معظم جيش عقبة كان يتكون من

انظر :الادريس،ص١٠٤، الورثيلاني،ص١٢٢، الاستبصار، ص١٥٥، المراكش، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص٣٥٥.

(١) ابن الاثير، الكامل :٤٦٥/٣، الحموي، معجم البلدان، ٤٢٠/٤، النويري،نهاية الأرب :١٠/٢٢، ١١، قد٢.

(٢) البلاذري،فتوح البلدان،ص٢٢٩؛ اليعقوبي،تاريخ اليعقوبي :٢١٦/٢،قدامه،الخراج،ص٣٤٤،ابن الأثير، الكامل: ٤٦٥/٣؛ الدباغ،معالم الايمان: ٨/١؛ ابن عذارى :١٩/١؛ ابن خلدون،العبر: ١٠/٣،الحميري،ص٤٨٦؛ السلاوي :٧٨/١ .

(٣) البلاذري،فتوح البلدان،ص٢٣٠،ابن الاثير،الكامل: ٤٦٥/٣،ابن الابار،الحلة السيراء :٣٢٣/٢، ابن عذارى: ١٩/١؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء: ٥٣٣/٣؛ ابن خلدون؛ العبر :١٠/٣،ابن ابي دينار، ص٢٩؛ السلاوي :٧٨/١.

يتكون من رجال القبائل العربية في مصر، وبالدرجة الاولى من أولئك الذين دخلوا مع عمرو بن العاص لأول مرة[1].

٢- الجيش الذي كان مرابطاً معه في معسكره بمغمداش .

٣- جماعة البربر الذين أسلموا وحسن اسلامهم، فانضموا الى جيش العرب المسلمين[2]، وربما كانوا من قبيلة لواتة البترية، المنتشرة في برقة وطرابلس، وان دل هذا على شيء، فإنما يدل على الجهود الكبيرة التي بذلها عقبة في سبيل نشر الاسلام بين صفوف قبائل البربر، وضمهم الى جانب العرب[3].

سار عقبة متوجها نحو المغرب متجنبا الطريق الساحلية المعروفة بـ " الطريق الاعظم"[4] أو "الجادة"[5]. ويبدو أنه كان يستهدف من وراء ذلك مباغتة القبائل البربرية في الداخل، وتضييع فرصة الاستعداد عليهم لمقاومة العرب الفاتحين، لأنه اذا سلك الطريق الصحراوية لا يمكن ان تصل اخبار حملته الى أهل افريقية بمثل سرعة وصولها اليهم فيما لو سلك الطريق الساحلية وبذلك يتسنى له اخضاعهم بسهولة[6]. يضاف الى ذلك أن هدفه من هذه الحملة، كان بناء قاعدة ثابتة للعرب الفاتحين، لذلك آثر ان يوجه جميع جهوده لتحقيق هذا الهدف أولا، قبل الالتفات نحو البيزنطيين، للقضاء على نفوذهم وسلطتهم في الساحل .

---

(١) قارن: بطه، الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا، ص١١٩-١٢١ .

(٢) الحموي،معجم البلدان :٤٢٠/٤،ابن الاثير؛ الكامل :٤٦٥/٣؛ ابن خلدون،العبر :١٠/٣؛ النويري: ١١/٢٢،تد٢؛ السلاوي :٧٨/١.

(٣) قارن: بطه،الفتح والاستقرار،ص١٢٠.

(٤) ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب،ص٢٦٤.

(٥) البكري،المغرب،ص١٤.

(٦) سالم، المغرب الكبير :١٩٨/٢.

ويقول ابن الأثير ان عقبة " وضع السيف في أهل البلاد لانهم كانوا اذا دخل اليهم امير أطاعوا، وأظهر بعضهم الاسلام، فاذا عاد الامير عنهم نكثوا ن وارتد من أسلم"[1]. وهذا يعني أنه قام باعادة اخضاع قفصة وقسطيلية اللتين كان قد فتحهما بعد حملته في صحراوات فزان وودان كما ذكرنا آنفا[2].

وقد خدمته الظروف في ذلك، فقد كان البيزنطيون مشغولين في ذلك الوقت بالدفاع عن القسطنطينية ضد الهجمات العربية، التي كانت تستهدف فتحها[3] يضاف الى ذلك ان الامبراطور قسطنطين الرابع **Castantineiv** (٦٦٨-٦٨٣م) كان مشغولا بالدفاع عن عرشه بوجه أحد المتمردين في صقلية، مما أضطره الى سحب معظم قواته الموجودة في افريقية[4]. وقد مهد هذا الامر لعقبة تحرير الجنوب التونسي في سنة ٥٠هـ/٦٧٠م، دون ان يلاقي اية مقاومة .

بناء مدينة القيروان :

تعد ولاية عقبة سنة ٥٠هـ/٦٧٠م، حدا فاصلا بين عهد الحملات الاستطلاعية، والفتح المنظم للمغرب، فقد كانت جميع جهود المسلمين في فتوحاتهم تذهب سدى، دون أي اثر ملموس، لأنه لم يكن يتبع ذلك الجهود ثبات واستقرار في تلك المناطق المفتوحة، اذ ما أن ينسحب العرب من تلك المناطق، حتى يعود أهلها الى التمرد، ونقض العهود، وكان السبب الذي يدعو العرب الفاتحين الى الانسحاب والاسراع بالعودة الى المشرق، والالتحاق بمراكزهم وقواعدهم في مصر، هو أنه لم يكن لهم يومئذ في المغرب معقل حصين يحميهم، ولا مدينة خاصة بهم تكون مركزا لامداداتهم، ومرجعا لهم يلتجئون اليه بعد المعارك لاستراحتهم، واستجماع قواتهم، وتضميد جرحاهم، وتجديد مؤنهم وأسلحتهم .

---

(١) الكامل :٤٦٥/٣ .

(٢) انظر فيما سبق،ص

(٣) خليفة بن خياط :٢٤٨/١،الطبري :٢٣٢/٥،ابن الاثير،الكامل :٤٥٨/٣-٤٥٩.

(٤) J.M Abun Nasr , A history of the Maghrib , Cambridge , 1971 , p. 58 .

وقد أشار البلاذري الى ذلك بقوله: "لما صالح عبد الله بن يعد بطريـق افريقيـة، رجع الى مصر، ولم يـول علـى افريقيـة أحـدا، ولم يكـن لهـا يومئـذ قـيروان، ولا مصـر جامع"[1].

لقد ادرك عقبة بخبرته الواسعة في شمال افريقيا، ومعايشته للأحداث، أنه لا يمكـن للعرب ان يثبتوا أقدامهم، وينشروا الاسلام الا بوجودهم المستمر في المنطقة، ويؤيد هذه الحقيقة ما ذكره ابن عذارى من أن عقبة خطب في عسكره، فقال: "ان افريقية اذا دخلـها امام اجابوه الى الاسلام، فاذا خرج منها، رجع من كان أجاب منهم لديـن الله الى الكفـر، فأرى لكم يـا معشـر المسـلمين ان تتخـذوا بـها مدينـة تكـون عـزّا للاسـلام الى آخـر الدهر"[2].

ويبدو ان عقبة استفاد من حضوة معاوية بـن جديـح في اتخـاذه معسـكرا ليكـون مستقرا لقواته، وقاعدة لانطلاقها، ويشير ابن عبد الحكم الى اجراء معاوية بن حديج هذا بقوله أنه :... اتخذ قيروانا عند القرن فلم يزل فيه حتى خرج الى مصر"[3] وذكر المالكي : "... اختط [ابن حديج] مدينة عند القرن قبل تأسيس عقبة للقيروان، وأقام بـها مـدة 'قامته بأفريقية، وحفر عند باب تونس، في ناحية الجبل، منه منحرفة للشرق، بالقرب مـن مصلى الجنائز، تسمى للآن كابار حديج، غلب عليها اسم ابيه حديج، وذلك قبل تأسيس القيروان [4].

ومن هنا ' ى أن معاوية بن حديج كان أول من فكر في ايجـاد معسـكر او مدينـة يستقر فيها الجيش العربي، ثم جاء عقبة بن نافع فحـوّل هـذه الفكـرة الى واقـع عملـي ببنائه لمدينة القيروان .

---

(١) فتوح البلدان،ص٢٢٩،وانظر :حسن حسني عبـد الوهـاب،ورقـات عـن الحضـارة العربيـة بافريقيـة التونسية (تونس :١٩٦٤)،٤٤/١.

(٢) البيان المغرب :١٩/١ .

(٣) فتوح مصر والمغرب،ص٢٦٠ .

(٤) رياض النفوس :٦٠/١ .

أ - تسمية المدينة :

تعدد مدلول لفظ القيروان، فقيل هي القافلة[1] او الجيش[2] وقد تكلمت بها العرب قديما، من ذلك قول الشاعر امرؤ القيس :

وفارة ذات قيروان كأن أسرابها الرعال[3]

ويذكر ياقوت الحموي ايضا: أن لفظ القيروان معرب، وهو بالفارسية كاروان[4] أما الدكتور حسين مؤنس فيرى ان أصل اللفظ بربري، وهو تحريف للفظة تيكروان[5]. وتيكرتن مدينة قريبة من القيروان كانت للبربر، ومن اسم هذه المدينة اشتق اسم القيروان.

ب- أسباب بناء القيروان :

حرص العرب المسلمون على اتخاذ معسكرات لتثبيت اقدامهم في المناطق التي حرروها، لكنهم في الوقت نفسه لم يفضلوا الاقامة في المدن والقلاع الساسانية و البيزنطية، فشيدوا في العراق البصرة والكوفة، وفي مصر الفسطاط، وقد حذا عقبة حذو قادة تحرير العراق وبلاد الشام، وذلك ببنائه لمدينة القيروان .

ونستطيع أن نحصر أسباب بناء القيروان بعاملين أساسيين هما :

---

(١) ابن خلكان،وفيات الاعيان،تحقيق احسان عباس (بيروت: بدون تاريخ): ٥٥/١،الفيروز آبادي،القاموس المحيط :١٢٨/٢ .

(٢) ابن خلكان :٥٥/١.

(٣) الحموي،معجم البلدان :٤٢٠/٤ .

(٤) المصدر نفسه: ٤٢٠/٤ ؛ ابن خلكان :٥٥/١ ؛ ابن منظور،لسان العرب :٤٣٩/٦،الزبيدي،تاج العروس في جواهر القاموس (مصر :١٣٠٦هـ) :٥١٣/٣ .

(٥) مؤنس،فتح العرب للمغرب،ص١٥٤ .

١- العامل العسكري :

كان هدف عقبة من بناء القيروان ان يجعلها معقلا حصينا لحماية الجيش العربي الاسلامي من هجمات العدو، ومن أل الاحتماء بها في حالة اضطرارهم الى التراجع والانسحاب للدفاع عن أنفسهم، ويؤيد هذا قول عقبة لاصحابه عند بناء القيروان: "هذه حصنا لكم من روم قسطنطينة، وافرنج الجزيرة الخضراء"[١]. وقد أشار ابن الاثير ايضا الى أهميتها في حماية الجند، من أي تمرد قد يقوم به السكان المحليون على العرب[٢].

ومن الاهداف الاخرى لبناء القيروان استخدامها قاعدة عسكرية[٣]. لانطلاق الجيوش في فتوحات جديدة، وكذلك من أجل ان تكون مأوى لهم في حالة انتهاء المعارك للاستراحة، وتضميد الجرحى، واعادة تنظيم صفوف الجيش من جديد، وحتى تكون ايضا مركزا قريبا لامدادات الجيش بالجند والمؤن . فقد كان العرب في السابق يتوغلون في فتوحاتهم في مناطق واسعة من المغرب، فيبتعدون كثيرا عن مراكز امداداتهم وتموينهم في مصر والشام، وكان هذا اللامر يعرضهم باستمرار للمضايقة من جانب العدو، مما يضطرهم الى الانسحاب، لهذا كان لابد من أجل المحافظة على خطوط مواصلات الجيش العربي وامداداته في توغله داخل المغرب من انشاء قاعدة عسكرية ثابتة، تكون مركزا للتموين بالرجال والمعدات[٤].

---

(١) مؤلف مجهول، الدرة النثيرة في اخبار الجزيرة، مخطوطة في المكتبة الوطنية في تونس،رقم ١٨٦٢١، ورقة٦٩.

(٢) الكامل في التاريخ :٤٦٥/٣.

(٣) الدباغ،معالم الايمان :٨/١،ابن خلدون،العبر :١٠/٣. وقارن

Marcais , G., sidi Uqba , Abul Muhajiret Kusaila , caliter de Tunisie , 1953 , Vol. I., p. 14

(٤) قارن :بمصطفى عباس الموسوي،العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية (بغداد: ١٩٨٢)،ص٦٦، ٨٦، ٨٧،انتوني نتج،العرب انتصاراتهم وامجاد الاسلام،ترجمة د. راشد البراوي (القاهرة :١٩٧٤)،ص٩٤، ٩٥.

٢- العامل الديني :

أنشئت القيروان ايضا لتكون مركزا لنشر الاسلام وآداب العرب ولغتهم وثقافتهم بين السكان المحليين، في شمال افريقيا، لأن هؤلاء في مرحلة الفتوحات السابقة لم يتح لهم الوقت الكافي للتعرف على الدين الاسلامي، وتفهم مبادئه واصوله، فكانوا يرتدون عن الاسلام، في حالة انسحاب العرب عن اراضيهم. وقد عبر عقبة عن هذه الحالة بقوله: "ان افريقية اذا دخلها إمام، أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان اجاب منهم لدين الله الى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين ان تتخذوا بها مدينة، تكون عزا للاسلام الى آخر الدهر"[١].

لهذا فبناء المدينة، واستقرار الفاتحين بها سوف يكون سببا في اختلاطهم وتعايشهم وتعاملهم مع السكان المحليين، مما يؤدي بعدئذ الى التقارب بين الجانبين، وازالة الحواجز النفسية التي يمكن ان تنشأ بينهم، ومع مرور الوقت، سيجد الفاتحون فرصا اكثر من السابق في سبيل بث الدعوة الاسلامية، ومبادىء الدين الجديد، بين صفوف السكان المحليين، ودعوتهم للدخول الى الدين الاسلامي بشرحهم لمبادئه واصوله في التوحيد، وتحقيق العدالة الاجتماعية. وسوف يؤدي هذا الى جذب البربر نحو العرب المسلمين، واقبالهم على الدخول في الدين الاسلامي على مراحل زمنية متعاقبة .

ج- تمصير القيروان :

١- اختيار موضع القيروان :

من الملاحظ في بناء المدن العربية الاسلامية التي تم انشاؤها في السابق، مثل البصرة، والكوفة، والفسطاط، انها كانت تتم بأمر وتوجيه من الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بعد تحريات واستطلاعات كان يقوم بها القادة الذين يؤمرون بتشييد تلك المدن[٢].

---

(١) ابن عذارى :١٩/١ .

(٢) البلاذري،فتوح البلدان،ص٢١٤، ٢٧٤، ٢٧٥، ٣٤١.

ولكن الامر اختلف بالنسبة الى القيروان، فلم يصل الينا ما يشير الى وجود اوامر او توجيهات من الخليفة الاموي بشأن تأسيس هذه المدينة، ويبدو ان الخليفة قد ترك امر بنائها الى تصور القائد عقبة، لاتخاذ ما يراه من خطوات مناسبة، يجب القيام بها في هذا المجال، ولم يأت اختيار موضع القيروان من قبل عقبة عشوائيا، أو كان من قبيل المصادفة، بل جاء ضمن نظرة فاحصة ودقيقة، وبعد بحث وتفتيش، وقد اعتمد في ذلك على عاملين مهمين هما:

أ - العامل العسكري الامني:

حرص عقبة على جعل القيروان بعيدة عن الساحل، من أجل ضمان سلامتها، لأنه كان يخشى أن يهاجمها البيزنطيون بأساطيلهم على غفلة من أمرها، فتتعرض للغزو وبسهولة، بينما لو كانت في الداخل فسيكون للفاتحين الوقت الكافي للتأهب والاستعداد لمواجهة العدو، وصد هجماته، وقد اشار ابن عذارى الى ذلك، وذكر أن أصحاب عقبة أشاروا عليه بأن يقربها من البحر، حتى يتم لهم الجهاد والرباط، فرد عقبة عليهم بقوله: "اني اخاف أن يطرقها صاحب القسطنطية بغتة، فيملكها ولكن اجعلوا بينها وبين البحر ما لا يدركها صاحب البحر، الا وقد علم به واذا كان بينها وبين البحر ما لا يوجب فيه التقصير للصلاة، فهم مرابطون"[1].

وربما كان الدافع الذي حدا بعقبة لاختيار القيروان بعيدا عن الساحل، هو تأثره ايضا بما تعرضت له الاسكندرية سنة ٢٥هـ/٦٤٥م من هجمات الاسطول البيزنطي في البحر، للسيطرة عليها، وما بذله عمر بن العاص من جهود كبيرة في سبيل استردادها[2] يضاف الى ذلك ان عقبة اراد أن يجعل موقع القيروان بين قبائل السكان المحليين، ووسط بلادهم[3]، لأنهم كانوا يمثلون القوة الرئيسية في البلاد، من أجل احتوائهم، ونشر

---

(١) البيان المغرب :١٩/١ .

(٢) قارن :بسالم،المغرب الكبير :٢٠١/٢ .

(٣) الحموي،معجم البلدان :٤٢١/٤ .

الاسلام بينهم، وجذبهم نحو العرب المسلمين[1].

ب- العامل الجغرافي :

ويتمثل بجانبين، الاول موضع القيروان[2] والثاني موقعها[3]، وقد أكد عقبة على هذا العامل، وحرص على اختيار بيئة مشابهة للبيئة التي خرج منها العرب، حتى لا يشعروا بالغربة وليحافظوا على مزاجهم العربي، وحيويتهم ونشاطهم[4]. فقد أسس عقبة مدينته في سهل فسيح يكاد يكون صحراويا وفيه شيء من الخصب، صالح لرعي الابل، التي تكون مصدرا لرزقهم ومعيشتهم[5]، فالصحراء معروفة لدى العرب، ومسخرة لهم للعيش والتنقل فيها، دون اعدائهم، وهي ملاذ أمين لهم في حالة تقهقرهم وتعرضهم لأي خطر من قبل العدو[6].

وقد حدد عقبة الاتجاه الذي يمكن للعرب المسلمين أن يقيموا فيه مدينتهم، حيث قال: "قربوها من السبخة، فأن دوابكم الأبل وهي التي تحمل أثقالكم، فإذا فرغنا منها، لم

---

(١) جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية :١٩٢ .

(٢) الموضع: بقعة الارض التي تقوم عليها المدينة المختارة مباشرة،ومدى تأثير الملامح الطبيعية كالمناخ والتربة لتلك البقعة على نمو وازدهار المدينة على مر العصور. وبمعنى آخر :هو العنصر الطبيعي الذي تحدده البقعة التي نهضت فوقها المدينة . وهو الذي تكون لها عونا لكي تبقى على طول الدهر نامية ومزدهرة وذلك اذا ما حالف التوفيق اختيارها،لما تمتاز به من مزايا محلية وأقليمية. أنظر :الموسوي،المرجع السابق،ص٢٠٠ .

(٣) الموقع :يعني جميع الارتباطات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية بين المدينة والمناطق المحيطة بها، أو اقليمها،وبعبارة اخرى يشمل الموقع جميع الارتباطات المكانية بين المدينة،والمناطق الاخرى. انظر: المرجع نفسه،ص٢٠١ .

(٤) المرجع نفسه،ص ٨٤ .

(٥) ابن سعيد المغربي،الجغرافيا،ص١٤٤ .

(٦) برنارد لويس،العرب في التاريخ،ترجمة نبيه أمين فارس،ومحمود يوسف زايد،(بيروت :١٩٥٤)،ص٧٤.

يكن لنا بد من الغزو والجهاد، حتى يفتح الله لنا منها الاول فالاول، وتكون ابلنا على باب قصرنا في مراعيها، آمنة من عادية البربر والنصارى"[1].

وقد أشار البكري الى (موقع) القيروان، أي المناطق المحيطة بها، فذكر ان القيروان تقع: "في بسلط من الارض مديد من الجوف منها بحر تونس، وفي الشرق بحر سوسة والمهدية، وفي القبلة بحر أسفاقس، وقابس، وأقربها منها البحر الشرقي، بينهما وبينه، مسيرة يوم وبينها وبين سواد الزيتون المعروف بالساحل مسيرة يوم، وشرقيها سبخة ملح عظيم طيب نظيف"[2].

ويبدو ان الاراضي المحيطة بموضع القيروان كانت تشتمل على اراضي طيبة وكريمة أفضلها كما قال البكري الجانب الغربي، وهو المعروف بفحص الدرارة[3] الذي يشير اسمه الى خصب اراضيه، ووفرة انتاجها.

اما بالنسبة لموضع القيروان فقد كان واديا كثير الاعشاب، متشابك الاشجار، مأوى للوحوش والحيات، فقد ذكر ابن عبد الحكم أن عقبة: "ركب والناس معه حتى أتى موضع القيروان اليوم، وكان واديا كثير الشجر، كثير القطف، تأوى اليه الوحوش، والسباع والهوام"[4]. كما أدرك عقبة ايضا اهمية طرق الامدادات بالنسبة للقيروان فوقوعها على الطريق الموصلة الى مصر جعلها مفتوحة امام الامدادات القادمة من مصر، صالحة للانسحاب منها في حالة التقهقر[5].

---

(١) ابن عذارى :١٩/١،٢٠،أورد هذا النص ايضا مؤرخين آخرون،ولكن بصيغ مختلفة منهم :المالكي: ٦/١، ٧، الورتيلاني،ص٩٤،الدباغ :٩/١،الاستبصار،ص١١٣،١١٤ .

(٢) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب،ص٢٤ .

(٣) المصدر نفسه،ص٢٤ .

(٤) فتوح مصر والمغرب،ص٢٧٤، ٢٦٥، وقد أخذ معظم مؤرخينا برواية ابن عبد الحكم،ولكن بصيغ مختلفة،انظر :المالكي :٧/١،الحموي،معجم البلدان /٤٢١/٤، ابن الاثير،اسد الغابة :٤٢١/٣،ابن عذارى: ٢٠/١.

(٥) جوليان :١٩/٢،لومبار،الاسلام في مجده الاول،ص١٠٣.

وقد أشار ابـن خلـدون الى ضـرورة توفـر العـامل العسـكري الامـني والعـامل الجغرافي، في اختيار موضع المدينة، ذكر في مقدمته: "اعلم ان المدن قرار تتخذه الامم، عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتؤثر الدعـة والسـكون، وتتوجـه الى اتخـاذ المنازل للقرار، ولما كان ذلك القرار والمأوى، وجب ان يراعي فيه دفع المضار بالحماية مـن طوارقها، وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها، فأما الحماية من المضار فـيراعي لهـا ان يـدار على منازلها جميعا سياج الاسوار، وان يكون وضع ذلك في متمنع من الامكنـة، امـا علـى هضبة متوعرة من الجبل، واما باستدارة بحر او نهر بـها، حتـى لا يوصـل اليـها الا بعـد العبور على جسر او قنطرة فيصعب منالها على العد، ويتضاعف امتناعـها وحصنـها ... وأما جلب المنافع والمرافق للبلد، فيراعى فيه أمور منها الماء، بأن يكون البلد على نهر او بأزائها عيون عذبة ثرة، فأن وجود الماء قريبا من البلد يسهل علـى السـاكن حاجـة المـاء وهي ضرورية ... ومما يراعى من المرافق في المدن، طيب المراعـي لسـمائهم، اذ صـاحب كل قرار لا بـد لـه مـن دوجـن الحيـوان، للنتـاج والضـرع والركـوب ولا بغلـها مـن المرعى..."[1].

ومن خلال نص ابن خلدون نلاحظ ان عقبة قد راعى اهم النقاط الاساسـية في اختيار المكان الملائم للقـيروان، لا سـيما النواحـي الدفاعيـة والامنيـة وتـأمين المعيشـة والمراعي للابل، لكنه كما يبدو أغفل نقطة مهمة هي مسألة توفر المياه العذبة، اذ ليـس في المنطقة نهر جار او عيون وفيرة المياه، وانما كان مصدر الشرب لدى السكان هـو ميـاه الامطار، التي تهطل في الشتاء، وتتجمع في برك كبيرة تدعى بالمواجل، فضلا عـن وجـود بعض الابار القليلة، وكان هناك واد في جنوب المدينة يسمى بوادي السراويل يجري فيـه ماء مالح، يستعمله السكا فيما يحتاجون اليه لأعمالهم دون الشرب[2].

ونستخلص مما تقدم، ان الموضع الذي اقيمت عليه القيروان كان في مكـان بعيـد عن صاحل البحر، تكثر فيه السبجات والاشجار الكثيفة والحيوانات المختلفة، يصلـح لرعي الابل ولا تتوفر فيه الموارد المائية الجارية الصالحة للشرب.

---

(١) ابن خلدون،المقدمة (بيروت :بدون تاريخ)،ص٣٤٧، ٣٤٨.

(٢) اليعقوبي،البلدان،منشور مع كتاب الاعلاق النفيسة،تحقيق دي غويه (ليدن :١٨٩٢)،ص٣٤٧، ٢٤٨.

وعلى كل حال، فقد أحسن عقبة اختيار موضع القيروان، ويشير أحد كبار المؤرخين الغربيين وهو كودل **Caudel** الى ذلك بقوله: "وكان اختيار المكان موفقا، بل بلغ من التوفيق في اختياره، ان ولاة المغرب ومن خلفهم من الحكام المستقلين قاموا بها زمانا طويلا، ولم ينتقلوا عنها الا حينما اضطرتهم ظروف سياسية جديدة الى ذلك، كما كان موقعها الحربي معروفا ملحوظ الاهمية، اذ كان الحاكم الذي يتخذ هذا الموضع مركزا لأعماله يستطيع أن يرى العدو من بعيد ويتحرز من الغارات المفاجئة الكثيرة الحدوث عند البربر، واذا اراد ان يطاردهم الى هضابهم وجد الطريق مفتحة أمامه، اذ كان يستطيع بعد مسير بضع ساعات الوصول الى أعالي الهضاب... ومن أعالي الهضاب كان يستطيع الاشراف على ما يجاورها، فيتيسر له حكمها اذا كانت لديه القوة الكافية لذلك، كذلك كان فرسانه الخفاف قديرين على أن يقوموا بهذا النوع من أعمال الاستطلاع، وبالغارات السريعة، والحراسة الدائمة[1].

٢- تخطيط القيروان :

لا تشير المصادر الى معلومات مفصلة عن مدينة القيروان وخططها، ، ولكن يبدو أن عقبة قد اتبع الطريقة التي سار عليها العرب في تخطيط مدنهم، التي أقاموها في البلاد التي فتحوها، كالكوفة، والبصرة، في العراق، والفسطاط في مصر، تلك الطريقة التي كانت تقوم على اساس التنظيم القبلي[2].

وقبل أن يشرع في تخطيط المدينة، ووضع أسسها، كان عليهم أولا ان يقوموا بتنظيف المكان بما فيه من الاشجار والاعشاب، اذ ان موضع المدينة -كما اسلفنا- كانت تشغله أشجار متشابكة، وقد أمرهم عقبة بقطع هذه الاشجار[3] وحرقها[4] وتسوية

---

(١) Caudel, Les prernieres in vasions Arabes del Afrique du Novd, Paris, 1900, 11, pp. 104, 105. نقلا عن مؤنس،فتح العرب للمغرب،ص١٤٣-١٤٤ .

(٢) أنور الرفاعي،الاسلام في حضارته ونظمه (بيروت: ١٩٧٣)،ص٣٤٣ .

(٣) البكري،معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع،تحقيق مصطفى السقا،(القاهرة :١٩٤٩): ١١٠٦/٣،ابن عذارى :٢٠/١ .

(٤) البكري،معجم ما استعجم :١١٠٦/٣،ابن الاثير،أسد الغابة :٤٢١/٣ .

الارض، حتى تكون صالحة للتخطيط والبناء.

وبعد أن اصبحت الارض صالحة للبناء، اختط عقبة اولا المسجد الجامع، ثم اختط الى جانبه دار الامارة، ثم قسمت الارض المحيطة بهما الى احياء عديدة، تدعى بالخطط، او "القطائع"، ووزعت على القبائل، فأصبح لكل قبيلة حي خاص بها، يدعى خطة، او "قطيعة"، ولكل حي منازله، ومسجده، وسوقه، ومقبرته الخاصة به[1].

وقد اختلف الكتاب في موضوع المدينة، وبناء دار الامارة، والمسجد الجامع، فالبعض يذكر أن بناء دار الامارة، والمدينة، كان اولا[2]، ويذكر البعض الاخر ان بناء المسجد الجامع كان قبل دار الامارة[3]. وهو الارجح كما أشرنا الى ذلك آنفا، اذ ليس من المعقول أن يفكر قائد مثل عقبة في بناء دار الامارة، قبل تخطيط مسجد جامع لصلاة جيشه، والمسلمين.

كانت القبائل التي سكنت القيروان من سائر بطون العرب، من مضر وربيعة، وقحطان[4] واذ ان معظم هذه القبائل قد جاءت من مصر، فلا بد اذن أنهم قد تأثروا بشكل خاطيء في انشاء منازلهم، على وضع منازل الفسطاط في مصر وطرازها. وقد اختطت كل عشيرة حيها الخاص بها، فهناك اشارة الى ان بني فهر، قوم عقبة، قاموا باختطاط منازلهم الى الجهة الشمالية، من الجامع، واتخذوا حولها بعض الاجنة[5] أما العشائر الاخرى فقد اختطوا منازلهم في الاماكن المجاورة، وقد أخذت بعض الاحياء، والطرق بعد تأسيس القيروان بسنوات وبالتدريج أسماء هذه العشائر، وبعض الشخصيات الشهيرة منها على سبيل المثال حارة يحصب، وحارة بني نافذ، ورحبة القرشيين، ورحبة الانصار[6] ورحبة بني دارج[7]، ودرب أزهر، ودرب أم أيوب[8]، ودرب

---

(١) الرفاعي، المرجع السابق، ص٣٤٤.

(٢) الحموي، معجم البلدان: ٤٢١/٤، ابن الاثير، الكامل: ٤٦٦/٣؛ ابن عذارى: ٢٠/١.

(٣) الدباغ: ١٠/١؛ ابن خلدون، العبر: ١٠/٣.

(٤) اليعقوبي، البلدان، ص٣٤٨.

(٥) البكري، المغرب، ص٢٣، وانظر: عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية: ٤٨/١.

(٦) الدباغ: ١٩٦/٣.

(٧) ابو العرب: طبقات علماء افريقية وتونس، ص٢٢٢؛ المالكي: ١٥٩/١.

(٨) الدباغ: ٦/٣، ١٩؛ قارن: بعبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية: ٥٢/١.

أسلم، ودرب نافع، ودرب عبد الله، ودرب الربيع[1].

وقد ترك عقبة في وسط المدينة جادة واسعة تسمى بالسماط الكبير، تقسم الى نصفين، تنتشر على جانبيها الاسواق، والمتاجر المختلفة[2] واشتمل تخطيط القيروان عند ذاك على تحصينها، من أجل زيادة قدرتها الدفاعية، والهجومية، ضد هجمات الاعداء، وذلك بلحاطتها بسور من اللبن والطين[3].

تخطيط المسجد الجامع :

تشير بعض المصادر الى ان عقبة اختط المسجد الجامع، لكنه لم يشيد عليه بناء وكانت الصلاة تقام فيه من دون بناء[4] في حين تروي مصادر أخرى، أن عقبة بنى المسجد الجامع[5]، ويبدو أن بناء المسجد لم يكن كاملا، بل كان بناءا بسيطا.

ويذكر المالكي أن خلافا قام بين عقبة وأصحابه، حول تحديد موضع قبلة المسجد، فقد قالوا له: "ان اهل المغرب يضعون قبلتهم، على قبلة هذا المسجد، فاجهد نفسك في تقويمه"[6]. وتزعم بعض الروايات انشغال عقبة لبعض الوقت في الامر، حتى الهمه الله باتجاهها فأقامها، وذلك عندما سمع نداء في منامه ن يقول له انه سوف يسمع تكبيرا في الموضع الصحيح للقبلة، فلما سمع التكبير، ركز رمحه في ذلك المكان، وقال هنا محرابكم[7].

---

(١) المقدسي،أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم،ص٢٢٦.

(٢) المصدر نفسه،ص٢٢٥؛ وقارن :بعبد الوهاب،ورقات من الحضارة العربية بأفريقية التونسية :٥٣/١،٥٤.

(٣) اليعقوبي، البلدان، ص٣٤٧ .

(٤) المالكي: ٧/١،ابن عذارى: ٢٠/١،النويري: ١٢/٢٢،قد٢.

(٥) ابو العرب،ص٥٨،الطبري :٢٤٠/٥،ابن الاثير :الكامل :٤٦٦/٣ ؛ ابن خلدون،العبر :١٠/٣.

(٦) رياض النفوس: ٧/١،وانظر المصادر التالية التي تتضمن النص نفسه مع بعض الاختلافات :الدباغ: ١٠/١، ١١؛ ابن عذارى :٢٠/١ ؛ الويرى :١٢/٢٢،قد٢.

(٧) الحموي،معجم البلدان: ٤٢١/٤ ؛ المالكي :٨٧/١؛ ابن عذارى :٢١/١؛ الحموي، ص٤٨٧ .

وهكذا أحيط تحديد القبلة على يدي عقبة، بما يشبه القصص والاساطير ولكن هناك ما ينفي هذه القصة المصطنعة، بما يذكره ابن عبد الحكم، من أن عقبة وضع رمحه لتحديد موضع القيروان، لا لتحديد موضع القبلة[1]. اذ لو كانت هذه الرواية صحيحة لجاء تحديد موضع القبلة صحيحا، فقد ذكر الاستاذ أحمد فكري ان قبلة مسجد القيروان الموجودة اليوم هي نفس القبلة التي حددها عقبة وفيها شيء من الانحراف عن موضعها الصحيح، وسبب هذا الانحراف هو قلة المعرفة، بطرق تحديد الجهات في ذلك الوقت، اما سبب الابقاء على هذا الانحراف الى هذا الوقت، فهو اولا: لما يتمتع به هذا المحراب من اجلال واكبار من قبل الناس لأنهم يعتقدون انه موضع كرامة من كرامات عقبة، وثانيا: فأن هدم حائط المحراب يعني تغييرا لكل نظام المسجد[2]. اما الدكتور حسين مؤنس فيقول ان ما ينفي هذه القصة، هو مجرد التساؤل عن القبلة التي كان عقبة وأصحابه يتوجهون اليها في صلاتهم قبل البدء ببناء المسجد[3]. لقد اعتاد العرب في تخطيط مدنهم ان يبدأوا ببناء المسجد، في وسط المدينة الى جانب دار الامارة، وذلك من أجل ابراز أهمية المسجد وجعله في قلب المدينة.

وقد تميز تخطيط مسجد القيروان بالبساطة، لأن نظام هذا المسجد كغيره من المساجد الاخرى، التي أقيمت في المدن الاسلامية، مأخوذ من نظام مسجد الرسول ﷺ في المدينة. وقد كان هذا النظام على درجة من البساطة، لا تعقيد فيه ولا تكلف في توزيع وحداته، وأسلوب بنائه، وقد انعكست بساطة الدين الاسلامي في أداء فرائضه على نظام تخطيط المساجد الاسلامية، ومن ضمنها مسجد القيروان، اذ لم يتطلب الدين الاسلامي اكثر من اربعة جدران تبنى بأي نوع من المواد الانشائية لتحديد محيط المسجد، وتحفظ حرمته، ومن سقيفة أو ظلة، تحمي المسلمين من حرارة الشمس وبرودة الجو ونزول المطر عند صلاتهم، او عند اجتماعهم للنقاش في امور دينهم ودنياهم[4].

---

(١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٥ .

(٢) احمد فكري، المسجد الجامع بالقيروان (الاسكندري: ١٩٣٦)، ص ٢٢.

(٣) فتح العرب للمغرب، ص١٤٤.

(٤) فكري، المرجع السابق، ص٥٠، ٥١، ٥٢، الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية، ص٢٤٠، الرفاعي، الاسلام في حضارته ونظمه، ص٣٨٥.

وقد كان لمسجد القيروان "صحن" وهو منطقة مكشوفة من المسجد، لها فائدة مهمة، فمن خلاله يدخل النور الى بيت الصلاة، وتقام الصلاة فيه ايام الجمع، بسبب كثرة وازدحام المصلين. وكان لبيت الصلاة في مسجد القيروان عنصر آخر، وهو المحراب وهو عبارة عن تجويف في حائط لا يتسع الا للأمام في جلوسه وركوعه وسجوده عند الصلاة، ويعد محراب مسجد القيروان أقدم محراب مجوف في المساجد الاسلامية، فقد ابتكره عقبة وأصحابه، حتى يدخل الامام فيه اثناء صلاته، ويترك الصف الذي كان يحتله هو وحده، ليتسع لمائتين من المصلين بدله[1].

كان بنيان مسجد القيروان يقوم على عنصرين اساسيين، العمود وما يعلوه من رأس وتاج، والاسطوانة، ما يعلوها من العقد، اما الاعمدة فقد اتفق على انها وضعت في مسجد القيروان منذ ايام نشأته في عهد عقبة وقيل انها نقلت من آثار قديمة، كانت في صبرت، في حين لم تكن للمسجد اسطوانات وعقد ايام عقبة، فقد كان سقف المسجد قائما مباشرة على الاعمدة وتيجانها[2].

ويرى الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب ان الذي حمل عقبة على اختيار موضع المسجد هو وجود بئر عذبة المياه، هي بئر "ام عياض" التي لا تبعد الا بمسافة قليلة عن المسجد، وليست بئر "ورطة " ن كما يقول البعض، لان هذه البئر تبعد عن المسجد مسافة طويلة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فان اسم بئر (ورطة) لم يرد في كتب التاريخ والتراجم الا في القرن الثاني الهجري، احدثها الامير هرثمة بن اعين، الذي ولاه الخليفة الرشيد امر افريقية والمغرب، ولايعقل الا تكون هناك بئر بالقرب من المسجد للشرب والوضوء والغسيل، ويعلل الباحث سبب ذلك بما اشتهرت به القيروان من جفاف وقلة في المياه، وهذا هو ما حمل الولاة الى الاهتمام بانشاء الصهاريج الكبيرة لخزن مياه الامطار والسيول[3].

ولم يبق مسجد القيروان على هذه البساطة، بل أجريت عليه تغييرات كثيرة، لأن

---

(١) انظر: فكري،المرجع السابق،ص٥٣، ٥٤، ٥٩، ٦٠.

(٢) المرجع نفسه،ص٦٠، ٦٤.

(٣) عبد الوهاب،ورقات عن الحضارة العربية،بأفريقية التونسية: ٤٨/١، ٤٩.

المسجد الذي بناه عقبة هدم، وأعيد بناؤه بعد عشرين سنة في زمن الوالي حسان بن النعمان سنة ٧٦هـ/٦٩٥م، ولما كان هذا البحث، يقتصر على تأسيس مدينة القيروان في زمن عقبة فقط، فلن نتحدث عن المسجد الجامع لهذه المدينة التاريخية اللاحقة[١].

لقد كان مسجد القيروان الجامع الاول الذي أنشأ في المغرب الاسلامي، وقد كان له دور مهم كغيره من المساجد الاسلامية، ليس في مسار الحياة الدينية فحسب، بل في مجال الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية، فقد كانت تم فيه مراسيم الزواج والطلاق، وقد كان ايضا مركزا لعقد حلقات العلم والمعرفة، وفيه يلتقي المسلمون لمناقشة امور الحرب والحرب، وهكذا فأننا نلاحظ انه قد شكل رابطة لأخوة وثيقة بين الجامعة الاسلامية، فهم لا يلتقون لمجرد اقامة الصلاة في مواعيدها، بل للمشاركة الدائمة في الحياة لمحاولة تأسيس كيان اسلامي متماسك، يجعل اتجاهه وتفكيره في خدمة الدين والدنيا[٢].

وتحدد بعض المصادر مساحة مدينة القيروان بعد الانتهاء من بنائها بثلاثة آلاف وستمائة باع[٣]، أي ما يعادل خمسة آلاف وثمانمائة متر مربع.

أما ابن عذارى فحددها بثلاثة عشر ألفا وستمائة ذراع[٤] أي ما يعادل سبعة آلاف متر مربع. ويمكن ان تكون المساحة الاولى معقولة بالنسبة لخطة المدينة التي تشمل المسجد، ودار الامارة وخطط القبائل، ومساجدهم الخاصة، اما بالنسبة للمساحة الثانية فواضح ان الرقم مبالغ فيه، ولكنها تبدو معقولة ايضا، اذا ما اضيفت الى المدينة مساكن

---

(١) للاطلاع على المزيد من المعلومات عن المسجد الجامع، راجع: فكرى، المرجع السابق.

(٢) قارن: بالموسوي،المرجع السابق،ص٢٢٣.

(٣) ابن الاثير،الكامل :٤٦٦/٣؛ ابن خلدون،العبر :١٠/٣؛ النويري :١٢/٢٢،قد ٢.

والباع: يساوي من حيث الاساس ٤ أذرع شرعية،أي نحو ١٩٩٫٥ سم،او حوالي ٢ متر،والذراع الشرعية تساوي ٤٩٫٨٧٥ سم أي حوالي ٥٠ سم،انظر :فالتر هنتس،المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المطري،ترجمة،كامل العسلي (عمان :١٩٧٠)،ص٨٨٢.

(٤) البيان المغرب :٢١/١ .

القبائل الموالية للمسلمين، من اهل البلاد[1].

وكانت بنايات المدينة ومنشآتها بصورة عامة، في بداية الامر على درجة من البساطة، فقد استخدم في بنائها الآجر المطبوخ لتوفر الطين في المكان نفسه[2] وقد استغرقت عملية بناء القيروان قرابة خمس سنوات، وأكمل بناؤها سنة ٥٥هـ/٦٧٤م[3] ولم يتوقف عقبة في اثناء بنائه للقيروان عن فتوحاته، فقد كان يوجه السرايا لإخضاع قبائل البربر، في المناطق المجاورة للقيروان، والتوغل في أراضيهم[4].

وشكل بناء القيروان حدثا مهما في تاريخ الفتح العربي للمغرب لأنها أصبحت نواة لولاية اسلامية جديدة، وهي ولاية افريقية، كما كانت الفسطاط نواة لولاية مصر الاسلامية[5]. ولقد ألهبت القيروان عزيمة العرب على فتح بقية اقاليم المغرب[6]، فمنها امتد سلطانهم الى بقية اجزاء المغرب الاوسط والاقصى، ووصل الى السودان وعبر الى روما واستقر في الاندلس[7].

---

(١) عبد الحميد،تاريخ المغرب العربي :١٨٦/١، ١٨٧ .

(٢) المقدسي،ص٢٢٥.

(٣) انظر : اليعقوبي،البلدان،ص٣٤٧ (يذكر ان تخطيط القيروان من قبل عقبة كان سنة ٦٠هـ في خلافة معاوية بن ابي سفيان)،الاستبصار،ص١٤،الحموي،معجم البلدان :٤٢١/٤، ابن الاثير، الكامل: ٦٦/٣،ابن عذارى :٢١/١،ابو الندا،المختصر في اخبار البشر :١٨٦/١، مؤلف مجهول،اخبار مجموعة،تحقيق ابراهيم الابياري (بيروت :١٩٨١)،ص١٣ (يرى ان تخطيط القيروان كان في عهد الخليفة عثمان بن عفان، عندما كان عقبة عاملا على افريقية من قبل عبد الله بن سعد بن ابي سرح،وهذا غير صحيح،ابن الوردي،تاريخ ابن الوردي: ٢٢٧/١.

(٤) ابن الاثير،الكامل :٤٦٦/٣.

(٥) مؤنس،فتح العرب للمغرب،ص١٤٦،شكري فيصل،المجتمعات الاسلامية في القرن الاول (بيروت: ١٩٧٣)، ص١٧٤.

(٦) كلود كاهين،تاريخ العرب والشعوب الاسلامية،ترجمة بدر الدين القاسم (بيروت :١٩٧٢)، ص٤٠.

(٧) انظر :عبد الوهاب،ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية :٢٥/١.

كذلك كان من نتائج بناء القيروان، واستقرار العرب المسلمين فيها ان حمل الكثير من السكان المحليين على حب الاسلام واعتناقه وذلك بحكم مجاورتهم واختلاطهم بالعرب، فقربت الروح المعنوية للجنود، واطمأنت نفوسهم، وقد عبر ابن الاثير عن ذلك خير تعبير بقوله: "ودخل كثير من البربر في الاسلام، واتسعت خطة المسلمين وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان، وامنوا واطمأنوا على المقام فثبت الاسلام فيها"[1].

رابعا : عزل عقبة :

بعد أن أتم عقبة بناء القيروان، فوجيء بعزله سنة ٥٥هـ/٦٧٤م[2] ولم تشر المصادر إلى أسباب العزل، بيد أنها تذكر أن الخليفة معاوية بن ابي سفيان ضم ولاية افريقية الى مسلمة بن مخلد، عامله على مصر، فأصبحت مصر والمغرب كلها بيده[3]. وقام هذا الاخير بعزل عقبة بن ناقع وتوليته مولاه أبي المهاجر دينار.

ونتيجة لهذا الغموض في معرفة أسباب عزل عقبة، ظهرت دراسات حديثة، في هذا المجال، وقد أرجع قسم منها سبب العزل الى سياسة الشدة والعنف التي اتبعها عقبة ازاء البربر، والدليل على ذلك ان الوالي الجديد اتبع سياسة مخالفة تماما لسياسة عقبة[4].

ويرى الاستاذ هنري تراس **Henri Terrasse** ان الخليفة معاوية عزل عقبة عن ولاية افريقية، خوفا من أن يستقل بالمغرب عن الخلافة[5] وقد ايده في ذلك الدكتور

---

(١) الكامل في التاريخ :٤٦٦/٣.

(٢) الدباغ :٤٧/١،ابن خلدون،العبر :١٨٦/٤،السلاوي :٨٠/١.

(٣) ابن عبد الحكم،فتوح افريقية والاندلس،ص٥٥ ؛ البلاذري،فتوح البلدان،ص٢٣٠؛ الطبري :٢٤٠/٥؛ الكندي،ص٣٨،وقارن :بالور تيلاني،ص٩٥ ؛ ابن ابي دينار،ص٢٩،ابن خلدون،العبر :١٨٦/٤؛ السلاوي :٨٠/١ (يذكرون مصر وافريقية بدلا من مصر المغرب).

(٤) انظر: عبد الحميد،تاريخ المغرب العربي: ١٨٧/١؛ عبد المنعم ماجد،التاريخ السياسي للدولة العربية (القاهرة : ١٩٦٠) :٥٩/٢ ؛ جوليان :٢٠/٢.

(٥) Terrasse, Histor du Maroc desorigines a l'etabtismeat duprotectorat francais, casablanca, 1949, p.80 ، نقلا عن سالم،المغرب الكبير :٢٠٩/٢.

السيد عبد العزيز سالم بقوله : ليس من المستبعد أن يتجه تفكير معاوية الى ذلك، فعقبة أحد أقرباء عمرو بن العاص الذي كان يخشى مطامعه في مصر وأفريقية، لذلك جعل ولاية افريقية تتبعه مباشرة بعد وفاة عمرو بن العاص، ولعله رأى في اهتمام عقبة بأفريقية، وفي بنائه لمدينة القيروان، والتفاف الناس حوله، اتجاها منه نحو الاستقلال، بحكم بعد هذا الاقليم عن مركز الخلافة، وغناه بالخيرات، لذلك أسرع بضم ولاية افريقية الى مسلمة بن مخلد عامله على مصر، ومن المحتمل انه أشار على مسلمة بعزل عقبة، بدليل أنه لم يرد عقبة اتلى افريقية، بعد أن جاء اليه شاكيا من سوء عزل ابي المهاجر له[1].

أما الدكتور حسين مؤنس، فيرى أن السبب في عزل عقبة هو الموقف السلبي الذي وقفه الوالي مسلمة بن مخلد منه، وذلك طمعا في ضم ولاية افريقية لمصر، اذ ظهرت بعد قيام القيروان أهمية ولاية افريقية، ولما كان ميدانها اوسع، من ميدان مصر، في مجال الفتوح والغنائم، فقد توجهت اليها انظار مسلمة بن مخلد، واستغل فرصة انشغال عقبة ببناء القيروان، وتوقفه عن الفتوحات التي حرمت الخلافة من مورد مهم لها، هو الغنائم، ولما كانت هذه هي المقياس الذي يقاس به جهد الفاتحين، سعي مسلمة بن مخلد لدى الخليفة، وأخذ يهون ويقلل من شأن عقبة، ويحثه على عزله وقد نجح في مسعاه وجمعت له مصر والمغرب[2].

ويمكن ترجيح رأي مؤنس في هذا المجال، والدليل على ذلك هو موقف الخليفة معاوية من عقبة، حينما جاء الى دمشق يشكو اليه ما لقيه من سوء عزل من قبل ابي المهاجر بقوله: "فتحت البلاد، وبنيت المنازل ومسجد الجماعة، ودانت لي، ثم ارسلت عبد الأنصاري فأساء عزلي"[3]. فلم يأمر الخليفة بعزل ابي المهاجر ومعاقبته، على سوء تصرفه ازاء عقبة، بل اكتفى بتقديم الاعتذار الى عقبة، وقال له: "عرفت مكان مسلمة ابن مخلد من الامام المظلوم، وتقديمه اياه، وقيامه بدمه، وبذل مهجته، وقد رددتك على

---

(١) سالم،المغرب الكبير :٢٠٩/٢.

(٢) مؤنس، فتح العرب للمغرب،ص١٤٦،١٤٧.

(٣) ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب،ص٢٦٦.

عمله"[1] ونلاحظ من خلال النص ان الخليفة معاوية يبين مكانة مسلمة بن مخلد، ويطيب نفسه، وبعده بأن يرده الى ولايته، ولكنه تراخى في الامر، ولم ينفذ وعده، الى ان توفي سنة ٦٠هـ/٦٧٩م، وولي ابنه يزيد الخلافة، فأعاد عقبة الى ولاية افريقية، وهذا يؤيد أن عزل عقبة جاء باتفاق بين الخليفة ووالية على مصر مسلمة بن مخلد.

وتجمع المصادر على ان ابا المهاجر أساء عزل عقبة[2]. ولكن المؤرخين لم يوردوا تعليلا معقولا لذلك، وقد ناقش الدكتور حسين مؤنس هذه المسألة بطرحه السؤال الاتي: لماذا أساء ابو المهاجر لعقبة، وأنزل به هذا العقاب؟ ثم اجاب على هذا السؤال، معتمدا ثلاثة ادلة مستقاة من ابن عبد الحكم، يعلل فيها ان ابا المهاجر كان مأمورا ومدفوعا من قبل مسلمة بن مخلد لتقديم مثل هذه الاساءة الى عقبة بن نافع.

أولا: قال ابن عبد الحكم: " فلما قدم عقبة مصر، ركب اليه مسلمة بن مخلد، فأقسم له بالله، لقد خالفه ما صنع ابو المهاجر، ولقد اوصيته بك خاصة"[3].

ويستنتج الدكتور مؤنس من هذا النص: أن سعي مسلمة الى عقبة، واعتذاره له، ونفي التهمة عنه، كان خشية من أن يغضب عليه الخليفة، حين يقص عليه عقبة ما نزل به من اساءة على يديه، فأسرع والقى التهمة على ابي المهاجر[4].

ثانيا: لم يكد عقبة يقدم شكواه الى الخليفة، بما لقيه من ابي المهاجر بقوله: "فتحت البلاد، وبنيت المنازل، ومسجد الجماعة، ودانت لي، ثم أرسلت عبد الانصارى فأساء عزلي"[5]، حتى اعتذر له الخليفة معاوية، وقال: "عرفت مكان مسلمة بن مخلد من الامام المظلوم، وتقديمه اياه، وقيامه بدمه، وبذل

---

(١) ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب،ص٢٦٦.

(٢) المصدر نفسه،ص٢٦٥؛ اليعقوبي،تاريخ اليعقوبي: ١٦٧/٢؛ ابن الاثير،الكامل: ٤٦٦/٣؛ الدباغ: ٤٧/؛ ابن عذارى :٢٢/١؛ السلاوي: ٨٠/١.

(٣) ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب،ص٢٦٦.

(٤) مؤنس،فتح العرب للمغرب،ص١٥١.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب،ص٢٦٦.

مهجته، وقد رددتك الى عملك"[1]. وهذا دليل، واعتراف من معاوية، بأن المسؤول عن اساءة عقبة هو مسلمة، لا ابو المهاجر[2].

ثالثا: اذا صدق ما يذكره ابن عبد الحكم، وغيره من المؤرخين، من روايات تشير الى ان عقبة دعا على ابي المهاجر، فظل هذا خائفا لأن عقبة كان مستجاب الدعوة[3]. فهذا يدل على براءة ابي المهاجر، وانه لم يفعل ذلك الا مضطرا مرغما على ذلك[4].

لقد أخذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم بأدلة الدكتور حسين مؤنس لكنه نفى الدليل الاول[5]، واضاف دليلين آخرين يثبتان براءة ابي المهاجر من تهمة الاساءة الى عقبة.

اولا: لو أن مسلمة لم يدفع بأبي المهاجر على ساءة عقبة، لكان عاقبه جزاء مخالفته اياه[6].

ثانيا: لم لم يكن مسلمة هو الذي أمر أبا المهاجر بتوجيه الأساءة الى عقبة، لما كان كتاب التخلية عن عقبة، واطلاق سراحه من سجنه، قد جاء من الخليفة، ولم لم يكن الاخير يعلم مسلمة وراء هذه الاساءة، لكان قد أمر بعزل ابي المهاجر وتأديبه، واعادة عقبة الى عمله[7].

ومهما يكن من امر عزل عقبة، فقد عين ابو المهاجر واليا على افريقية، ولكن المصادر التاريخية لا تسعفنا بمعلومات عن أصله، سوى أنه كان مولى المسلمة بن مخلد،

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٦.

(٢) مؤنس، فتح العرب للمغرب،ص١٥١.

(٣) ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب،ص٢٦٦؛ ابن ابي دينار،ص٢٩؛ السلاوي :٨٠/١.

(٤) مؤنس، فتح الغرب للمغرب،ص١٥٢.

(٥) سالم، المغرب الكبير :٢١٠/٢،٢١١،٢١٢.

(٦) المرجع نفسه: ٢١٢/٢،٢١٣.

(٧) المرجع نفسه: ٢١٣/٢.

وربما كان مصري الاصل، أعتقه مسلمة بن مخلد، وقربه اليه، لتفانيه في خدمته، واخلاصه له، وعده واحدا من جملة خاصته، فأحب أن يكافئه فولاه ولاية افريقية . وقد جاء ذلك على لسان مسلمة بن مخلد بقوله: "ان ابا المهاجر، كأحدنا صبر علينا في غير ولاية، ولا كبير نيل، فنحن نحب ان نكافئه ونصطنعه"[1].

وتشير المصادر الى أن ابا المهاجر كره المقام في مدينة القيروان فأنشأ مدينة جديدة لجنده تسمى "تيكران" من أجل تخليد ذكره، ويذكر ابن عبد الحكم أنه مضى خلف القيروان بميلين "فابتنى ونزل"[2] اما المالكي، فيشير الى ان ابا المهاجر "انصرف فنزل بدكرور مدينة البربر، بالقرب من موضع القيروان"[3]. في حين يقول ابن عذارى: "ونزل خارجا عن المدينة وكره أن ينزل الموضع الذي اختطه عقبة ن ومضى حتى خلفه بميلين ... فاختط بها مدينة، وأراد أن يكون له ذكرها، ويفسد عمل عقبة، فبنى مدينة، وأخذ في عمرانها، وأمر الناس أن تحرق القيروان ويعمروا مدينته"[4] واخيرا فقد قال النوري "فلما وصل [ابو المهاجر] كره ان ينزل بالموضع الذي اختطه عقبة، فنزل عنه بمسافة ميلين، واختط مدينة واراد ان يكون له ذكرها، ويفسد ما عمله عقبة، فسماها البربر تيكيروان، فأخذ في عمارتها، وأمر الناس ان يخربوا القيروان، ويعمروا مدينته"[5].

ونلاحظ ان رواية المالكي هي الاقرب الى الصواب، لأن ابا المهاجر لم يكن يملك الوقت الكافي لبناء مدينة جديدة بدلا من القيروان[6]، ولعل السبب الذي حمل ابا المهاجر على النزول في قرية دكرور البربرية، هو الخوف من الاقامة في القيروان بسبب

---

(١) ابن عذارى :٢٢/١؛ وقارن :بطه،الفتح والاستقرار،ص١٢٢،١٢٣.

(٢) فتوح مصر والمغرب،ص٢٦٦.

(٣) رياض النفوس :٢٠/١.

(٤) البيان المغرب: ٢٢/١.

(٥) نهاية الارب: ١٣/٢٢،قد٢.

(٦) قارن: بسالم،المغرب الكبير: ٢١٤/٢.

إساءته إلى عقبة، فقد كان يخشى أن يواجه نوعا من المقاومة، من قبل القبائل العربية، لاسيما من فهر عشيرة عقبة[1].

أما ما يقال عن قيام ابي المهاجر باخلاء القيروان، وتدميرها، وحرقها، فهو امر بعيد الاحتمال، فليس هناك سبب مقنع واحد، يدعوه للقيام بهذا العمل التخريبي، والقضاء على جهود العرب المسلمين، التي استغرقت خمس سنين في بنائهم لهذه المدينة، ويمكن أن نستند في هذا الرأي الى ما ذكره المالكي والدباغ، من أن أبا المهاجر نفسه عاد وسكن القيروان بعد رجوعه من حملته على تلمسان[2] ودامت ولاية ابي المهاجر سبع سنين، من سنة ٥٥هـ/٦٧٤م، الى سنة اثنتين وستين ٦٢هـ/٦٨٢م، ثم اعيد عقبة ثانية واليا على افريقية.

---

(١) انظر: طه، الفتح والاستقرار،ص١٢٤.

(٢) رياض النفوس: ٢١/١،معالم الايمان: ٤٦/١.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الرابع

الولاية الثانية لعقبة بن نافع في المغرب من سنة ٦٢-٦٤ / ٦٨١-٦٨٣

مدخل

أولاً : افتتاح المغرب الاوسط.

ثانياً : دخول المغرب الاقصى.

ثالثاً : عودة عقبة واستشهاده.

رابعاً : اسباب مقاومة السكان المحلين لعقبة بن نافع ودوافعها.

خامساً : وضع القيروان بعد استشهاد عقبة بن نافع.

سادساً : تقويم حملة عقبة بن نافع.

سابعاً : دور عقبة بن نافع في نشر الاسلام واللغة العربية.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الرابع

الولاية الثانية لعقبة بن نافع في المغرب من سنة ٦٢-٦٤ / ٦٨١-٦٨٣

مدخل

توفي الخليفة معاوية بن ابي سفيان، سنة ٦٠هـ/٦٧٩م. وتولى ابنه يزيد الخلافة من بعده، ففضل ولاية افريقية عن مصر، وعزل عنها ابا المهاجر، وأعاد اليها عقبة بن نافع الثانية سنة ٦٢هـ/٦٨١ م[1]. وبذلك تبدأ ولاية عقبة الثانية من ٦٢-٦٤هـ/٦٨١-٦٨٣م.

ويعتقد الدكتور حسين مؤنس أن ولاية عقبة الثانية، جاءت بعد وفاة الوالي مسلمة بن مخلد، ويعتمد في ذلك على التاريخ المشترك، في الربط بين عقبة إلى ولايته، وبين وفاة مسلمة بن مخلد سنة ٦٢هـ/٦٨١م، اذ يقول: "لو كان عقبة ردّ قبل وفاة مسلمة ابن مخلد سنة ٦٢هـ/٦٨١ هـ بالذات، أي بعد سنتين من ولاية يزيد؟ ولم يرده يزيد، من

---

(١) ابن الاثير، الكامل: ٤/ ١٠٥ ابن الابار، الحلة لسيراء: ٢/ ٣٢٣، ابن عذارى، البيان المغرب: ١/٢٣، ابن ابي دينار، المؤنس في اخبار افريقية وتونس، ص٣٠.

اول ولايته؟ وفيم كان الانتظار؟ بل لو كان مسلمة حياً حين رد عقبة إلى عمله لتولي حماية ابي المهاجر منه، أو، لاستغاث به هذا الاخير على الاقل، فأما وقد كان عقبة مطلق اليد، يفعل بابي المهاجر ما يشاء، فان في ذلك دليلاً على ان هذا الاخير كان قد فقد وليه ونصيره، فهان امره على الناس" [1].

ان توافق التاريخ بين وفاة مسلمة، وتوليه عقبة، لا يمكن ان يكون دليلاً كافياً على تولية عقبة، بعد وفاة مسلمة، فمن الجائز ان يكون ردّ عقبة إلى ولاية افريقية، قد حصل قبل وفاة مسلمة والخليفة معاوية كانت درجة من القوة، بحيث ام يستطيع ان يرد عقبة إلى ولايته في عهده، فليس من الضروري ان تكون هذه العلاقة بين يزيد- ومسلمة على الدرجة نفسها من القوة، بحيث لا يستطيع من طرفه ان يرد عقبة إلى ولايته بعد توليه الخلافة مباشرة، لانه كان مشغولاً بأمور أهم من ذلك، فقد واجهته صعوبات ومشكلات كثيرة، هدت الخلافة، منها على سبيل المثال،ثورة الحسين بن علي سنة ٦١هـ/٦٨٠م، وحركة عبدالله بن الزبير في الحجاز.

وكذلك فقيام يزيد بفصل ولاية افريقية عن مصر، وجعل ارتباطها بالخلافة مباشرة، يلغي مسألة حماية مسلمة لابي المهاجر، وقد قال الورتيلاني: "ولى [يزيد] عقبة بن نافع افريقية، وقطعها عن مسلمة بن مخلد وأمره على مصر، فخرج عقبة إلى افريقية، سنو اثنتين وستين" [2]. واخيراً فان ما ذكره كل من الرقيق، وابن عذارى، حول الاعتذار الذي قدمه مسلمة لعقبة، عند مروره بمصر إلى المغرب، عن سوء عزله، من قبل ابي المهاجر [3]، يؤكد ان مسلمة كان حياً، عندما رد عقبة إلى ولايته ثانية.

وتجمع الروايات على ان عقبة كان متعجلاً، ومتلهفاً في الرجوع إلى ولايته، مصمماً على معاقبة ابي المهاجر، والانتقام منه، فقد قال الرفيق القيرواني: "ومضى [عقبة] سريعاً، لحنقه على ابي المهاجر، حين قدم افريقية فاوثق ابا المهاجر، في الحديد،

---

(١) فتح العرب للمغرب، ص١٧٩.

(٢) نزهة الانظار، ص٩٥.

(٣) تاريخ افريقية والمغرب، ص٣٩،٤٠، البيان المغرب: ٢٣/١، وقارن: بعبد العزيز سالم، المغرب الكبير: ٢١٨/٢، ٢١٩.

وأمر بخراب مدينته، ورد الناس إلى القيروان"[1]. أما الورتيلاني فيذكر "حرج عقبة إلى افريقية في سنة اثنتين وستين، فمر سريعاً حنقاً على ابي المهاجر، فأوثقه في الحديد، وأمر بتخريب المدينة التي بناها، والروع إلى القيروان وعمارتها"[2]. ويؤكد ابن عذارى، هذا الامر كذلك، بقوله: "ومضى [عقبة] حنقاً على ابي المهاجر حتى قيام افريقيا فأوثق أبا المهاجر في الحديد وأمر بتخريب مدينته، التي بناها ورد الناس إلى القيروان"[3]. ويزيد المالكي والدباغ، على ان عقبة صادر ايضا الاموال التي كانت بحوزة ابي المهاجر، وقدرها مائة الف دينار[4]. أما أبن عبد الحكم، فيشير إلى ان عقبة اصطحب معه ابا المهاجر، في حملته الكبرى، إلى المغرب الاقصى، وكان مكبلاً بالحديد، وقد استشهد، وهو مقيد[5].

ان هذه النصوص تثير عدة نقاط، من الواجب مناقشتها، وتفسيرها، وهي كما يأتي:

أولاً: انتقام عقبة من ابي المهاجر، وتكبيله بالحديد، وأخذه معه، في حملته الكبرى، واستشهاده، وهو على هذه الحالة، ويلاحظ ان المؤرخين قد بالغوا في مسألة انتقام عقبة، من ابي المهاجر، وقد اشرنا فيما سبق إلى ان عقبة كان على علم ويقين بان اساءة ابي المهاجر له، كانت بأمر من مسلمة، وهو لا ذنب له، لانه مأمور بذلك[6]، ويبدو ان عقوبة عقبة لابي المهاجر اقتصرت على معاتبته وتوبيخه، وقد ابقاه إلى جانبه، واشركه في حملته على المغرب، فلو صح ما ذكرته الروايات من ان عقبة عاقب أبا المهاجر، وكبله بالحديد، لكان الاجدر به ان يبقيه مسجوناً في القيروان، لا أن يأخذه معه للجهاد، فيقاتل، وينال الشهادة، وهو مكبل بالحديد.

---

(١) تاريخ افريقية والمغرب، ص٤٠.

(٢) نزهة الانظار، ص٩٥.

(٣) البيان المغرب : ١/ ٤٧.

(٤) رياض النفوس: ٢٢/١؛ معالم الايمان: ٤٧/١.

(٥) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٨؛ وانظر ايضاً المالكي: ٢٧/١؛ الدباغ: ٥٢/١.

(٦) انظر الفصل الثالث، ص١١٣-١١٥.

ثانياً: مسألة تخريب مدينة ابي المهاجر، وأعادة الناس إلى القيروان بعد تجديد بناءها وعمارتها، وهذا امر يستبعد، لان مدينة القيروان كانت مسكونة مأهولة، فقد اسلفنا ان هناك ما يؤكد أن ابا المهاجر لم يخرب القيروان، ويخرج الناس منها، لانه عاد، وسكن فيها، بعد انتهائه من حملته على تلمسان[1].

عاد عقبة إلى ولاية افريقية، ثانية، وهو اشد حماساً، واكثر اندفاعاً، ورغبة في الجهاد والفتح، لهذا فقد جاءت ولايته الثانية مختلفة، عن ولايته الاولى، فبينما قضي معظم ولايته الاولى في بناء القيروان، إلى جانب القيام بارسال بعض السرايا الصغيرة، لا خضاع قبائل البربر، نراه يقضي ولايته الثانية، بالاعداد لحملة كبيرة، اجتاحت المغرب الاوسط والاقصى، حتى وصل إلى شواطئ المحيط الاطلسي، ويبدو أنه كان ينوي القيام بها في ولايته االولى، بعد الفراغ من بناء القيروان، ففاجأه العزل، وحال بينه، وبين تنفيذ ما اراد[2].

وقبل ان ينطلق عقبة في حملته هذه، استخلف على القيروان، زهير بن قيس البلوى[3]، على رأس حامية عربية[4]، تتكون من ستة الالف مقاتل[5]، لحماية القيروان، ثم دعا اولاده وخطب فيهم قائلاً: "اني بعت نفسي من الله عز وجل... أن أجاهد من كفر ، حتى الحق بالله، ولست ادري، أتروني بعد يومي هذا، أو أراكم، لان أملي الموت في سبيل الله... أوردى اليكم كما أحب"[6]. وقد عبر عقبة بقوله هذا عن رغبته في الجهاد، والاستشهاد في سبيل نشر الاسلام.

---

(١) انظر الفصل الثالث ن ص ١١٦- ١١٧.

(٢) قارن : حسن علي حسن، تاريخ المغرب العربي، ص٤٠،٤١.

(٣) الورتيلاني، ص٩٥، أبن الاثير ؛ الكامل : ٤/ ١٠٥؛ ابن عذار: ٢٣/١؛ ابن ابي دينار، ص٣٠.

(٤) الرقيق، ص٤٠؛ ابن عذارى ٢٣/١.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٨.

(٦) الرقيق، ص٤١.

أولاً: افتتاح المغرب الاوسط:

مضى عقبة باتجاه المغرب، مصطحباً أبا المهاجر وكسيلو[1]، على رأس جيش كبير، ربما بلغ تعداده خمسة عشر الف مقاتل[2]، وعندما وصل إلى مدينة باغية[3]، التحم مع حاميتها البيزنطينية، التي خرجت للقائه، وانتهت المعركة بانهزام البيزنط، وتراجعهم داخل اسوار المدينة بعد تركهم لاعداد كبيرة من القتلى والكثير من الغنائم التي كان معظمها من خيل جبال اوراس التي لم يرى العرب بمعاركهم اصلب ولا اسرع منها، وضرب عقبة الحصار على المدينة لكنه لم يستطع دخولها لحصانتها وشدة مقاومة حاميتها،[4] لذا فقد اثر ان لا يضيع وقته، وينهك قواه عندها، فتركها وتوجه نحو الزاب، وهي حسبما يصفها الرقيق بلاد واسعة، وعمائر متصلة، كثيرة الزرع، والقرى، تنتشر حول مدينتها الكبرى "أدنة"[5] حوالي ثلثمائة قرية[6]، وفي رواية اخرى ثلثمائة وستون قرية[7].

---

(١) كسيلة: بن لغوم، وقيل أبن أكزم، أو أغز الاوربي البرانسي، من عظماء البربر، تولى زعامة قبيلة اوربة البرانسية، بعد وفاة زعيمها السابق(ستردير أبن رومي)، وكان على دين النصرانية، وقد اسلم على يدي ابي المهاجر، فأحسن اليه، واصطنعه بمصاحبته له. راجع: الحلة السيراء: ٢/ ٣٢٧؛ ابن خلدون، العبر: ٦/ ١٤٦؛ السلاوى، الاستقصا: ٨٠/١.

(٢) المالكي : ٢٢/١؛ الدباغ: ٤٧/١.

(٣) باغية: مدينة كبيرة قديمة، ذات حصانة ومنعه، تقع في اقصى افريقية، إلى الشمال من جبال اوراس، كثيرة الانهار والعيون، تشتهر بكثرة مزارعها وثمارها.راجع: البكري، المغرب في ذكر افريقية والمغرب، ص٥٠؛ الادريسي، صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس، ص١٠٣، ١٠٤، الاستبصار، ص١٦٣؛ الحموى، معجم البلدان: ٣٢٥/١.

(٤) الرقيق، ص ٤١، ٤٧ المالكي ٣٣/١؛ الورتيلاني ص ٩٥ ، ابن الاثير، الكامل : ٤/ ١٠٥، الدباغ: ٤٨/١، ابن عذارى : ١/ ٢٤، ابن ابي دينار، ص٣٠.

(٥) الرقيق، ص٤٢ (وفية : الاسم اذنه)؛ المالكي : ٣٣/١، أبن الاثير، الكامل: ٤/ ١٠٥، (وفية: الاسم آربة)، الدباغ: ٤٩/١، النهرى: ١٤/٢٢؛ قد (وفية: الاسم أربة).

(٦) تاريخ افريقية والمغرب، ص٤٢.

(٧) المالكي: ٣٣/١؛ الورتيلاني، ص١٦؛ الدباغ: ٤٩/١؛ النهري:١٤/٢٢، قد ٢.

ويشير ابن الاثير إلى ان عقبة سار إلى بلاد الزاب، وهي هي بلاد واسعة فيها علة مدن، وقرى كثيرة، فقصد مدينتها العظمى، واسمها "اربة" فامتنع بها من هناك من البيزنطينين، وهرب بعظهم إلى الجبال، فاقتتل المسلمون ومن بالمدينة، ثم انهزم البيزنطيون وقتل كثير من فرسانهم، ورحل عقبة إلى تيهرت[1]. ويضيف كل من الرقيق والمالكي ان عقبة عسكري بجيشه على وادي قريب من "اذنة" فكرة القتال، وبات الجيش الليل كله في حراسة ومراقبة، حتى سمي هذا الوادي ب "وادي السهر" وفي الصباح التحم الفريقان، وكان العدد على درجة من القوة، حتى تسرب اليأس إلى قلوب المقاتلين في أحراز النصر، ولكن هذه المعركة القاسية انتهت بانتصار المسلمين، وهزيمة البيزنطينين، وفرارهم إلى حصونهم، وقتل كبار فرسانهم[2]. وقد عبر المؤرخون عن هذه الهزيمة بقولهم ذهب عز الروم من الزاب، وذلوا إلى آخر الدهر[3]، ولم يشأ عقبة ان يحاصرهم، بعد ان اعتصموا بحصونهم، فرحل عنهم إلى مدينة تيهرت.

وعندما وصل إلى هذه المنطقة وجد نفسه امام تجمع عظيم من البيزنطيين والبربر، من قبائل لواته، وهوارة، وزواغة، ومطماطة، وزناته، ومكناسة[4]، وتشير المصادر إلى ان البيزنطيين استغاثوا بالبربر، عندما بلغهم خبر تقدم عقبة نحوهم، فأجابوهم ونصروهم[5]، لأسباب سنذكرها لاحقاً[6]. وقد اشتد الامر على العرب لكثرة العدو، فقام

---

(١) الكامل في التاريخ: ١٠٥/٤، وتيهرت: اسم لمدينتين كبيرتين، احدهما قديمة، تسمى بتيهرت القديمة، والاخرى محدثة، تسمى بتيهرت الحديثة، وبين تيهرت القديمة والجديدة مسافة خمسة اميال، وتقع تيهرت القديمة على سفح جبل يسمى جذول، عليها سور من صخر، شديدة البرد، كثيرة الغيوم والثلج، تشتهر بكثرة ثمارها وغلاتها. راجع: البكري، المغرب، ص٦٦،٦٧؛ الادريسي، ص٨٧؛ القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص١٦٩.

(٢) تاريخ افريقية والمغرب، ص٤٣، رياض النفوس: ٢٣/١.

(٣) الرقيق،ص٤٣،المالكي: ٢٣/١، الورتيلاني،ص٩٦، الدباغ: ٤٩/١، ابن عذارى: ٢٤/١، النهري: ١٤/٢٢، قد٢.

(٤) البكري، المغرب، ص٦٧، عبيدالله بن صالح، نص جديد عن فتح العرب للمغرب، ص٢١٩، وأنظر أيضاً: ابن الاثير، الكامل: ٤/ ١٠٥، ابن عذارى ١/ ٢٤،٢٥ .

(٥) الرقيق، ص٤٣، المالكي : ٢٣/١، الورتيلاني، ص٩٦، ابن الاثير، الكامل: ١٠٥/٤، الدباغ: ٤٩/١، النهري: ١٤/٢٢،قد ٢.

(٦) انظر ادناه، ص١٤٠ – ١٤١.

عقبة في جيشه خطيباً، يحثهم على الجهاد والقتال، قائلاً: يا معشر المسلمين، ان أخياركم واشرافكم والسابقون منكم الذين رضي الله عنهم، بايعهم رسول الله ﷺ بيعة الرضوان، على القتال من كفر بالله إلى القيامة. فبيعوا انفسكم من رب العالمين، فنكم داخلون في تلك البيعة، ...، وانتم ما وطئتم هذه البلاد الا طلباً لرضاه، وغضباً ان يعبد شيئ سواه، فأبشرو، فكلما كثر بشركم كان أحزى لهم، وأعز لدينهم، وربكم ليس يسلحكم، فالقوة بقلوب صادقة، جعلكم الله أولي بأسه، الذي لا يرد عن قوم المجرمين"[1] وأحتدم القتال بين الطرفين، وأنتهى بانهزام البيزنطيين والبربر، وتفرق جمعهم، وقتل عد كبير منهم، وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم[2].

ثانياً: دخول المغرب الاقصى:

كان عقبة حريصاً على مواصلة الفتح، فترك البيزنطيين والبربر معتصمين في حصونهم وقلاعهم، وعبر ممر تازا، وأوغل في المغرب حتى دخل المغرب الاقصى، ونزل عند طنجة[3]. وقد عبر أبن عذارى عن ذلك بقوله: " فكرة / عقبة / المقام على محاصرتهم، فيفوته الغزو، وقتل غيرهم من طوائف الكفار، اذ كانت أهم المغرب، من نصارى وبرابر لا يحصون كثرة وانتشاراً، ولا يكاثرون بالرمل والحصا. فترك أهل افريقية متحصنين بحصونهم، وأوغل في الغرب يقتل ويأسر أمة بعد أمة، وطائفة بعد طائفة، بائعاً نفسه من مولاه، لا تروعه كثرة، ولا تعتريه هو ومن معه سآمة ولا قترة، حتى صال بأحواز طنجة"[4]. وكانت كورة طنجة تشمل الاقاليم الممتدة على ساحل الجاز إلى

---

(١) الرقيق، ص٤٣،٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٤، المالكي: ١/ ٢٤، الورتيلاني : ص٩٦، النهري: ٢٢/ ١٤، قد ٢.

(٣) طنجة : مدينة كبيرة وقديمة، بناؤها من الحجر، فيها أثار للأول، تقع على ساحل البحر المتوسط، المقابل لساحة عدوة الاندلس، تبعد عن سبتة سافة ثلاثين ميلاً، وعن القيروان مسافة الف ميل، وقد كانت مقراً لحكام المغرب من البيزنطيين، وغيرهم من الامم السالفة. راجع: ابن حوقل، ص٨٠، البكري، المغرب، ص١٠٨، ١٠٩، الاستبصار، ص١٣٨،١٣٩، الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٦.

(٤) البيان المغرب: ١/ ٢٥،٢٦.

الاندلس، لا سيما مدينتا طنجة وسبتة وما حولهما[1]. وكان حاكم هذا الاقليم رجلاً كبيزنطيا يدعى "يليان"[2] على درجة من الذكاء، والحنكة السياسية، فما ان سمع باقتراب عقبة من احواز ولايته حتى سارع بارسال الرسل والهدايا[3]، والاموال الكثيرة اليه[4]، طلباً لمصادقته من اجل الحفاظ على بلاده، وبقائه في الحكم، وقد قبل عرض "يليان " وفي نفس الوقت استفاد من خبرته ومشورته، في قضايا متعددة، فقد أمده " يليان" بمعلومات عن القوط في الاندلس، وحذره من العبور إلى شبه الجزيرة الايبيرية، كما أمده بمعلومات عن البربر ومواطنهم في المغرب الاقصى، وبين له أنهم جموع كثيرة لا يعلم عددهم الا الله، وهم أهل نجدة وبأس شديد، ولهم قوة في الحروب وهم قوم ليس لهم دين يكفرون بالله عز وجل ولا يعرفونه[5]. وقد أخذ عقبة بنصائح "يليان" وقرر إخضاع قبائل المغرب الاقصى، وسار من طنجة نحو الجنوب الغربي، حيث بلاد السوس الادنى[6]، المعروفة ببلاد "تامسنا" لاخضاع البربر الوثنين، من قبائل مصمودة فخرجوا

---

(١) البيان المغرب: ٢٦/١، قارن: بعبد الحميد، تاريخ المغرب العربي: ١٩٩/١.

(٢) يليان: هناك اختلاف بين المؤرخين حول اسم هذا الحاكم وأصله فقد ورد هذا الاسم بالاشكال التالية: اليان، ايليان، بليليان، بليان،يليان، وقد ذهب بعضهم إلى كونه بيزنطياً، والبعض الاخر يرى انه قوطي، والثالث يرى انه بربر غمارة، وقد ايدت الدراسات الحديثة الرأي الاول، أي انه كان الحاكم البيزنطي على موريتانيا الطنجية.
راجع الرقيق، ص٤٤، البكري، المغرب، ص١٠٤ الدرر النثيرة، ورقة ٦٩، ابن الاثير، الكامل: ١٠٦/٤، ابن الكردبوس، الاكتفاء في اخبار الخلفاء، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد نينوى للسياحة والفندقة الدراسات الاسلامية في مدريد، العدد ثالث عشر، ١٩٦٥-١٩٦٦، ص٤٢، ابن عذارى: ٢٦/١، ابن ابي دينار، ص٣٠، النهري: ٢٢/ ١٤، قد٢. وقارن: له، الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا ص١٤٢.

(٣) الرقيق ص٤٥، البكري، المغرب، ص١٠٤، الورتيلاني، ص٩٦، ابن الاثير، الكامل: ١٠٦/٤، ابن عذارى: ٢٦/١، ابن خلدون، العبر: ١٨٦/٤.

(٢) الدرر النثيرة، ورقة ٦٩.

(٥) الرقيق، ص٤٥، الورتيلاني، ص٩٦، ابن الاثير، الكامل: ١٠٦/٤، الدرر النثيرة، ورقة ٦٩.

(٦) السوس الادنى: كورة عظيمة بالمغرب، مدينتها طنجة، والسوس مدينة بالمغرب، كان البيزنطيون يسمونها قمونية، وتشتهر هذه الكورة بكثرة الاغنام والابقار، وبزراعة الحنطة والشعير، في حين تفتقد إلى اشجار الفواكه والزيتون. راجع: الحموى، معجم البلدان: ٢٨١/٣، ابن الفقيه الحمداني، مختصر كتاب البلدان، ص٨٤.

إليه بأعداد كبيرة، وتذكر النصوص انه أمعن في قتلهم، والحق بهم الهزيمة، وارسل الخيل وراء المنهزمين منهم للقضاء عليهم[1]، ثم توجه إلى مدينة وليلي القديمة volubils[2]. فوجد نفسه امام تحالف قوي بين بربر الاطلس الوسطى، فهزمهم شر هزيمة، فلاذو بالفرار نحو الصحراء وتابع فلولهم حتى وصل إلى درعة في أقصى الجنوب[3]، ولم يتوغل في مجاهل الصحراء بل صعد نحو الشواطئ الغربية للمغرب الاقصى، وسار مع وادي درعة إلى الشمال، ودار حول جبال الاطلس الكبرى، ونزل بمناطق قبيلتي صنهاجة وهكسورة، اللتين سارعتا لاعلان طاعتهما وولائهما[4].

وتابع عقبة المسير إلى بلدة أغماث[5]، (التي بنيت بالقرب منها فيما بعد مدينة مراكش الحالية). فوجد أن أهلها قد اعتصموا فيها، فحاصرها لفترة قصيرة، وأجبرها على النزول عند حكمه، والخضوع له[6]، ثم اتجه نحو ريكة[7]

---

(١) الرقيق، ص ٤٥، ٤٦، المالكي: ١/ ٢٤، ابن الاثير، الكامل : ٤/ ١٠٦، الدباغ: ١/٥٠، ابن عذارى: ١/٢٧.

(٢) وليلي : مدينة رومية، عظيمة وقديمة، تقع عند طرف جبل زرهون، قرب الموضع الذي بنيت فيه مدينة فاس فيما بعد.

(٣) درعة : مدينة أهلة عامرة بالقرى والعمارات المتصلة، والمزارع، وبساتين الفواكه الكثيرة، والاسواق والمتاجر، وقد سميت بدرعة، نسبة إلى واديها المسمى بوادي درعة، وهو نهر كبير، ينبعث من جبال درن، وتكثر فيها المتاجر والاسواق، وتشتهر بتجارة الحناء، ويسكنها جماعات من البربر. راجع:البكري، المغرب، ص١٥٥، الادريسي، ص٦١، الاستبصار، ص٢٠٦، الحميرى، ص٢٣٥،٢٣٦.

(٤) ابن عذارى: ١/ ٢٧، عبيد الله بن صالح، ص٢١٩.

(٥) أغماث مدينة قديمة، تقع في الأقصى ، يطلق عليها البكري اسم " أغماث ايلان " وهي مسكن لقبائل مصمودة ، ويجري فيها نهر، يطلق عليه اسم " تافيروت " تشتهر بكثرة غلائها وبساتينها، من الفواكه والكروم. راجع: البكري، المغرب، ص١٥٣، الزهري ، الجغرافيا، ص١٩٠، ابن سعيد المغربي، الجغرافيا، ص١٢٥.

(٦) ابن عذارى : ١/ ٢٧، عبيد الله بن صالح، ص٢١٩.

(٧) ريكة: مدينة سهلية، كثيرة الزرع والبساتين يطلق عليها البكري اسم " أغماث وريكة " ، تفريقاً عن "أغماث ايلان". تشتهر بكثرة اسواقها ومتاجرها، وتبتعد عن " أغماث ايلان " مسافة ثمانية أميال، وهي مسكن لقبائل مصمودة. راجع: البكري، المغرب، ص١٥٣.

وفتحها[1] وسار منها إلى وادي نفيس، حيث مدينة نفيس[2]. المشهورة باسم واديها، وكان قد اجتمع فيها عدد كبير من السكان المحليين والروم، فحاصرهم عقبة وقاتلهم، حتى فتحها وأصاب منها غنائم كثيرة[3]، وبافتتاحه لمدينة نفيس انفتحت أمامه الطريق إلى السوس الاقصى[4]، فنزل عند مدينة مدينة ايجلي وفتحها[5]، ثم تابع المسير منها حتى وصل مدينة ماسة على المحيط الاطلسي[6]. وهنا يصور لنا المؤرخون باسلوب ادبي حالة عقبة، وما اعتراه من حماس شديد، للجهاد في سبيل الله، عندما أوغل بفرسه في البحر، ثم تراجع واكتفى بالاعتذار عن عدم قدرته على اقتحام البحر وعبوره[7]، ثم عاد ادراجه قاصداً القيروان.

---

(١) ابن عذارى: ٢٧/١.

(٢) نفيس: مدينة قديمة وصغيرة، تعرف بالبلد النفيس، تبتعد عن البحر المتوسط مسيرة يوم واحد، يجري في وسطها نهر كبير، ينبع من جبل درن، ومعظم سكانها من قبائل مصمودة وبها من الحنطة والفواكه واللحوم، مالا يكون في كثير من البلاد. راجع: البكري، المغرب، ص١٦٠، الادريسي، ص٦٣، الاستبصار، ص٢٠٨.

(٣) البكري، المغرب، ص١٦٠، ابن ابي دينار، ص٣١.

(٤) السوس الاقصى: كورة عظيمة، ذات مدن وقرى واسعة وخصبة، تكثر فيها بساتين الفواكه المتعددة الانواع، وغلات الحبوب من الحنطة والشعير والارز، يسقيها نهر عظيم، يصب في المحيط الاطلسي يسمى بوادي ماسة، وتسكنها جماعة من البربر المصامدة. راجع: البلخي، صورة الاقاليم، ورقة ٢٩، الاصطخري، المسالك والممالك، ص٣٤، الاستبصار، ص٢١١،٢١٢،الحميري، ص٣٣٠.

(٥) ايجلي: مدينة كبيرة وقديمة، تقع في سهل من الارض، وهي قاعدة بلاد السوس الاقصى، يجري فيها نهر كبير، تقوم عليه بساتين كثيرة، واكثر ما كانت تشتهر به، صناعة السكر، ذوالنحاس المسبوك الذي يتجهز به إلى بلاد السودان. راجع: البكري، المغرب، ص١٦٢، الاستبصار، ص٢١٢، الحميري، ص٣٣٠.

(٦) ماسة: تقع على ساحل المحيط الاطلسي، عند مصب وادي ماست أوما يسمى بوادي ماسة، الذي ارتبط اسمها بماسة ، وهو نهر عظيم في بلاد السوس الاقصى، يجري من الجنوب إلى الشمال، تنتشر عليه قرى متصلة وعمارات وبساتين كثيرة، تزرع فيها انواع الفاكهة والثمار. راجع: البكري، المغرب، ص١٦١، الاستبصار، ص٢١١، الحميري، ص٥٢٢.

(٧) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٨، المالكي: ٢٥/١، الورتيلاني،ص٩٧، ابن الاثير، الكامل: ١٠٦/٤، الدباغ: ٥١/١، ابن عذارى: ٢٧/١، ابن ابي دينار، ص٣١.

ثالثا: عودة عقبة واستشهاده:

قرر عقبة العودة مارا بمدينة "ايران يطوف" الواقعة على المحيط الاطلسي، إلى الجنوب من مدينة ماسة، ثم صعد إلى الشمال، مارا بقبائل حاحة ورجراجة وصودة، ويبدو انه قد عرض عليهم الاسلام، فقبلوا دعوته وأطاعوه[1]، ثم نزل عند وادي تنسيفت[2]، ووادي ام الربيع[3] فدعا أهلها إلى الاسلام، فأمتنعوا وقاتلوه، فالحق بهم الهزيمة، بعد ان قتلوا عددا كبيرا من جنده، فسمي تلك الموضع بـ "مقبرة الشهداء"[4]، ويذكر عبيد الله بن صالح ان المنهزمين غزوا امام عقبة واجتمعوا مع قوم من هسكورة، فسار اليهم وقاتلهم، وحدث لاصحابه مثلما حدث لهم في بلاد دكالة، فقد قتل منهم عدد كبير، وسمي هذا الموضع ايضا بـ "مقبرة الشهداء"[5] في حين يخالف ابن عذارى ذلك، ويكتفي بالقول ان عقبة تقدم نحو بلاد هكسورة وعرض عليهم الاسلام، فرفضوا، فقاتلهم وانهزمت جموعهم أمامه[6]، ومن المحتمل ان الامر قد اختلط على عبيد الله بن صالح، وذكر الحادثة نفسها في الموضعين.

ثم قطع عقبة وادي نهر ام الربيع، ودخل في المغرب الاوسط ، يريد الرجوع إلى

---

(١) عبدالله بن صالح، ص٢٢٠.

(٢) وادي تنسيفت: يقع على بعد ثلاثة أميال من مراكش، ينبض في فصل الشتاء، ويصب فيه كل مدن وادي وريكة، وادي نفيس، واودية اخرى كثيرة، ويصب هو بدوره في المحيط الاطلسي. راجع: الحميري، ص ١٢٧ – ٥٤٠.

(٣) وادي ام الربيع: يسمى ايضا بوادي " وانسيفن " يقع إلى الشمال من وادي تنسيفت، وهو نهر كبير، يجاز بالمراكب، سريع الجريان، كثير الانحدار، كثير الصخور والجنادل، ويجاز هذا الوادي إلى غابة كثيفة متشابكة الاشجار، تكثر فيها الاسود ، وتقع على هذا الوادي قرية تعرف بأسمه، قرية ام الربيع، تشتهر بكثرة خيراتها، ونعمها، ورخص أثمانها. راجع: الادريسي ، ٧٠، ٧١، الاستبصار، ص١٨٥، الحميرى، ص ٦٠٥.

(٤) ابن عذارى: ٢٨/١، عبيد الله بن صالح، ص٢٢٠.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٢٠.

(٦) البيان المغرب، ٢٨/١.

القيروان[1]، وعند وصوله إلى مدينة طبنة[2]، التي تبعد مسيرة ثمانية ايام عن القيروان، أمر معظم جيشه بالعودة إلى القيروان[3]، وابقي معه خمسة الاف مقاتل فقط[4]. ويعزو كل من الورتيلاني وابن الاثير ارسال عقبة لمعظم جيشه إلى ثقته بنفسه، لما أنزله بالعدو من هزيمة فلم يعد هناك من يخشاه[5]. وهناك من يعلل السبب في ذلك بوصول انباء معلقة من افريقية[6]. وعلى الرغم من وجود نصوص عند ابن عبد الحكم يمكن ان تؤيد هذا الامر، كتلك التي تقول ان القيروان تعرضت لهجمات قوية من البيزنطيين[7]، ولكن هذا الاحتمال ضعيف، فلو تعرضت القيروان فعلاً لخطر معين، لكان من الاجدر بعقبة ان يسرع هو في مقدمة جيشه إلى هناك[8].

ومن المرجح ان السبب الذي اضطر عقبة إلى ارسال معظم قواته على شكل دفعات واحلة تلو أخرى، هو شعوره واطلاعه على ما فعله "ابن الكاهنة" ولعل المقصود به كسيلة، من طمر الآبار المياه في اثناء تقدمه في حملته الكبرى[9]، وهذا هو ما ادى إلى خوف عقبة وخشيته من تعرض جيشه لخطر الموت عطشاً، فقرر تغيير طريق

---

(١) عبيد الله بن صالح، ص٢٢٠.

(٢) طبنة: مدينة كبيرة من أعظم مدن بلاد الزاب، لها حصن قديم، وعليها سور من حجر متقن البناء، ولها ارياض واسعة، كثيرة المياه والبساتين، والزرع من القطن والحنطة والشعير، ويمارس اهلها إلى جانب الزراعة، مهنة الصناعة، والتجارة. راجع: البكرى، المغرب، ص٥٠، الادريسي، ص٩٣، الاستبصار، ص١٧٢.

(٣) البكري، الغرب، ص٧٤، المالكي: ١/ ٢٥، الاستبصار، ص١٧٥، ابن الاثير، الكامل: ٤/ ١٠٦، الدباغ: ٥١/١، ابن ابي دينار ١/ ٣١.

(٤) عبيد الله بن صالح، ص ٢٢٠.

(٥) نزهة الانظار، ص ٩٧، الكامل في تاريخ: ٤/ ١٠٦.

(٦) عبيد الله بن صالح، ص ٢٠٩.

(٧) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٨.

(٨) عبد الحميد بن صالح، ص٢٠٩.

(٩) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص٢٦٨.

عودته، وكان قد سلك في طريق تقدمه الاطلس التالي، في حين اتبع في اثناء عودته طريق الشمال الاطلس الصحراوي، وهي أقرب طريق إلى القيروان[1]. ولما كان هذه الطريق تتميز بقلة مياهها، ولا يتحمل ان يسير الجيش فيها دفعة واحدة، لهذا فقد أثر عقبة ان يرسل معظم قواته إلى القيروان على شكل دفعات، وبقي هو مع عدد محدود من خيرة جنده، وتوجه إلى مدينتي تهوذه[2]، بادس[3] لفتحها، وترك حامية دائمة من الفرسان فيهما[4]، ويبدو انه كان مطمئناً إلى قدرة من بقي معه لافتتاح هاتين المدينتين، ولما قرب عقبة من تهوذة، ورأى البيزنطيين قلة من معه من الجيش، انتهزوا الفرصة للايقاع به وبجيشه، واعتصموا داخل حصنهم، وأخذوا يستخفون به ويشتمونه، ويرمونه بالنبل، وهو يدعوهم إلى الاسلام[5]، وفي الوقت بعثوا إلى الزعيم البربري، كسيلة بن لمزم، الذي كان ضمن عسكر عقبة، ويبدو انه قد هرب منه بأهله واتفق مع البيزنطيين للقضاء على عقبة وجيشه[6]. وقد صور لنا المالكي خطة كسيلة وحلفائه من البيزنطيين للايقاع بعقبة بقوله: "فزحف اليه عقبة فتنحى من بين يديه، فقالت البربر لكسيلة: "لم تهرب من بين يديه، ونحن في الخمسين الفاً وهو في خمسة تالاف؟" فقال: انكم كل يوم

---

(١) محمود شيت خطاب، عقبة بن نافع الفهري (القاهرة: ١٩٧١)، ص١٤٢.

(٢) تهوذة: مدينة رومانية قديمة، تقع جنوب جبال الاوراس، قريباً من بسكرة، وكانت مسورة بسور عظيم، آهلة بالسكان، كثيرة الارياض والبساتين من الثمار والنخيل والزرع، ويحيطها خندق، ولها نهر كبير يجري اليها من جبل اوراس، فإذا نشبت بينها وبين طرف أخر حرب وخاف اهلها النزول اليها فتحوا ماء ذلك النهر الخندق ، وامتنعوا عن العدد. راجع: البكري، المغرب، ص ٧٢، الاستبصار، ص١٧٤، أبن الابار، الحلة السيراء؛ ٢/ ٣٢٣،(هامش رقم٣).

(٣) بادس: مدينة قديمة من بلاد الزاب، فيها آثار للاول وبها مياه وعيون تكثر فيه مزارع الشعير، وبساتين النخيل والفواكه والثمار. راجع: البكري المغرب، ص٧٤، الاستبصار، ص١٧٥، الحموى، معجم البلدان:١ /٣١٧.

(٤) عبيد الله بن صالح، ص٢٠٩.

(٥) المالكي : ١/ ٢٥، الروتيلاني، ص٩٧، ابن الاثير، الكامل: ٤/ ١٠٦، الدباغ :١/ ٥٢، ابن عذارى: ٢٨/١.

(٦) المالكي: ١/ ٢٥، الدباغ: ١/ ٥٢، ابن عذارى: ٢٨/١.

في زيادة، وهو في نقصان، وعدد الرجال قد افترق عنه، فإذا طلب افريقية زحفت اليه"[1].

وعندما وجد عقبة وأصحابه انفسهم قلة أمام هذا الجمع الكبير من البربر والبيزنطيين ايقنوا بقرب نهايتهم، وقرروا مواجهة الموقف بشجاعة، فنزلوا عن خيولهم، وكسروا أغماد سيوفهم، حتى تبقى مسلولة إلى النهاية، ودارت الموقعه عند تهوذة، وقاتلوا حتى استشهد عقبة، وابو المهاجر، ومن معهما من الجند[2]، ولم يبق منهم الا من وقع في الاسر.

وقد اشارت الصادر إلى اسماء بعضهم، مثل محمد بن أوس الانصارى، ويزيد بن خلف القيسي، وغيرهما. وقد فك اسر هؤلاء ابن مصاد، صاحب قفصة، وبعث بهم إلى زهير بن قيس البلوى في القيروان[3]، ولا توفر لدينا تفصيلات عن ابي مصاد هذا، ولكن يبدو انه كان مسلماً، والا، ما الذي دفعه إلى فك اسرى المسلمين؟ وهذا دليل على مدى انتشار الاسلام بين قبائل البربر.

ولم يحدد المؤرخون بشكل دقيق وقت استشهاد عقبة، اذ يفهم من الروايات بانه استشهد في نفس السنة التي ولي فيها، وهي سنة ٦٢هـ/٦٨٢م[4]، وقد ناقش هذه المسألة الدكتور سعد زغلول عبد الحميد وتوصل إلى ان عقبة قد توفي اما في اواخر سنة ٦٤هـ/٦٨٣م، او اوائل سنة ٦٥هـ/٦٨٤[5].

وهكذا انتهت حياة هذا القائد الكبير، ومن معه من الجند المخلصين، بالاستشهاد في سبيل الله، والجهاد لتحرير المغرب، من الجهل والعبودية، والسيطرة الاجنبية، وصار

---

(١) رياض النمفوس: ١/ ٢٦.

(٢) المالكي،١/٢٧، البكري، المغرب، ص٧٤، الورتيلاني، ص٩٨،الاستبصار،ص١٧٥، الدباغ: ١/٥٤، ابن عذارى : ١/٢٩.

(٣) الورتيلاني، ص١٨، ابن عذارى: ١/٢٩، ابن خلدون، العبر: ٦/ ١٤٧.

(٤) قارن: بأحمد بن منقذ، كتاب الوفيات، تحقيق: عادل نويهض (بيروت: ١٩٧١)، ص٥٩ ويذكر ان وفاة عقبة كانت سنة ٤١هـ وهذا بالتأكيد غير صحيح.

(٥) راجع: تاريخ المغرب العربي: ١/ ٢٠٥.

ضريحه الذي اصبح يعرف بمسجد "سيدي عقبة" مزاراً وطنياً يحج اليه الناس من كل انحاء المغرب[1].

رابعاً: اسباب مقاومة السكان المحليين لعقبة بن نافع ودوافعها:

تميزت ولاية عقبة الثانية بطابع جديد في فتح المغرب، تمثل بالمقاومة الشديدة والعنيفة من قبل السكان المحليين، وقد بدأت بالزاب، وتيهرت، وانتهت بالفاجعة الكبرى في تهوذة، اما قبل هذا العهد فلم نجد للسكان المحليين نشاطاً ملحوظاً ومميزاً، حيث اتخذوا موقفاً محايداً من الفتوحات العربية الاسلامية في المغرب باستثناء بعضهم، ممن اعتنق الديانة المسيحية، وتأثر بالحضارة الرومانية، وكان البيزنطيون هم الذين تزعموا المقاومة، لان السكان المحليين وجدوا في الفتح العربي الاسلامي فرصتهم للتخلص من سيطرة البيزنطيين، لا سيما بعد ان دخل بعضهم في الدين الاسلامي، ووجدوا ان هذا الدين يحقق لهم الوحدة، والعدالة الاجتماعية، فانضموا تحت راية الحكم العربي، وشاركوا الغرب في فتوحاتهم، وقد كان لعقبة ولابي المهاجر من بعده دور كبير في هذا المجال، ولكن بمجيء عقبة ثانية تغير الموقف، اذ تذكر الروايات ان عقبة اساء معاملة كسيلة زعيم البربر، واهانه واستخف به، ويقال ان عقبة اتى بغنم، فأمر كسيلة بذبحها وسلخها، فاعتذر كسيلة لعقبة عن القيام بهذا العمل، فشتمه عقبة وأرغمه على القيام بذلك الفعل[2].

ولا يخفى ان هذه الروايات موضوعة، هدفها تشويه سمعة عقبة وسياسته وتأصيل الخلاف بين العرب والبربر، ولهذا فقد بالغت في تصوير امر الخلاف بين عقبة وكسيلة، وعدته خلافا شخصياً، وركزت على أمور واهية لا يمكن ان يقدم عليها قائد عربي مسلم، مثل عقبة، والراجح ان عقبة أهمل أمر كسيلة، ولم يضعه في الموضع الذي كان أبو المهاجر يضعه فيه، فعقبة على ما يبدو كان يعتقد ان اسلام كسيلة، كان اسلاماً

(١) ابن خلدون، العبر: ٦/ ١٤٧، جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية: ٢٢/٢.

(٢) ابن الاثير، الكامل: ٤/ ١٠٧، الدباغ: ١/ ٣٥، ابن عذارى : ١/ ٢٩، النهري: ٢٢/ ١٦، قد ٢، ابن خلدون: ٤/ ١٨٦.

شكلياً، حاول من خلاله ان يحقق مطامحه السياسية في حكم بلاد المغرب، بعد طرد النفوذ البيزنطي، بمساعدة العرب المسلمين، ولهذا بدأ التناقض واضحاً، بين طموحات عقبة وأهدافه، وبين طموحات كسيلة وأهدافه، فتعمق الخلاف بينهما، حتى أدى إلى تصادمهما فيما بعد، فتحالف كسيلة مع البيزنطيين على عقبة.

والملاحظ ان عقبة رغم نجاحه العسكري الباهر، كانت تنقصه أحياناً الكفاية السياسية، ومن المحتمل ان ممارسته للحياة العسكرية، مدة طويلة، جلته يعتقد ان القوة العسكرية التي يمتلكها قاعدة على حسم الامور كما يريد، في حين كان من الممكن ان يحاول عقبة استمالة كسيلة، واستخدام نفوذه ومكانته لدى سكان المحليين، لتحقيق ماكان يهدف اليه، لاسيما في طرد النفوذ الاجنبي البيزنطي في بلاد المغرب، ثم يتخذ بعد ذلك موقفاً حازماً من كسيلة، فيما لو أصر الاخير على تحقيق مراميه السياسية التي لا تنسجم مع الوجود العربي الاسلامي، وذلك بعد ان تستقر الاوضاع لصالح الجيش الفاتح.

وتمكن الاشارة إلى مسألة اخرى عن دوافع السكان المحليين لمقاومة عقبة بن نافع، فقد وجدوا في سياسته الرامية إلى التوغل في بلادهم، وانتشار قواته حتى المحيط الاطلسي، تهديداً لوجودهم ولحريتهم، التي لم تمس، حتى في ظل الدول التي حكمت بلادهم، من الرومان والوندال إلى البيزنطيين، فقد انتصرت سيادة هذه القوى على السواحل والمناطق القريبة منها، دون التوغل في الداخل، والتصادم مع سكان البلاد المحليين، وهذا هو ما جعلهم يمتازون بنزعتهم الاستقلالية، ومقاومتهم لاي خطر يتهددهم[1]، لا سيما اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار انهم كانوا يعتقدون ان دخول العرب الفاتحين إلى مناطقهم يمكن ان يؤثر سلباً على مصالحهم وعلاقاتهم التجارية مع البيزنطيين[2].

وقد هيأت سياسة عقبة هذه الفرصة للبيزنطيين، الذين لم تكن لديهم قوة عسكرية كافية لصد الفاتحين العرب، لكي يتحالفوا مع السكان المحليين على الفتح العربي الاسلامي، لان العرب كانوا يمثلون لدى الطرفين عدواً مشتركاً.

---

(١) راجع الفصل الاول، ص٤٧-٥١.

(٢) راجع الفصل الاول، ص٤٧-٥١.

خامسا : وضع القيروان بعد استشهاد عقبة بن نافع :

لقد كان لنبأ استشهاد عقبة وأصحابه وقع كبير، وأثر سيء في نفوس المسلمين ومعنوياتهم في القيروان، لاسيما وان كسيلة بدأ يتقدم بقواته نحو القيروان، وقد اختلفت الروايات حول موقف زهير بن قيس البلوى، خليفة عقبة على القيروان، فهناك رواية تذكر أن زهيرا عندما بلغه خبر استشهاد عقبة وأصحابه، خاف خوفا شديدا، وقرر الانصراف الى مصر، فأتاه احد القادة العرب، وهو ابن حيان الحضرمي، وقال له ما معناه: ان انسحابك الى مصر يعني هزيمتك، فكان أول من خرج مبارزا العدو، فلما رأى زهير عزمه اشتد ساعده، وقرر البقاء، وملاقاة كسيلة، فلما اقبل كسيلة الى القيروان خرج اليه مع ستة الاف من المقاتلين، وقاتله قتالا شديدا حتى هزمه، وقتل عددا كبيرا من اصحابه، وشتت الباقين، وأقام زهير مدة قصيرة في القيروان، ثم خرج بعدها باتجاه مصر، فأقام في لوبية، ومراقية وذلك في سنة ٦٥ هـ/٦٨٤م، حتى أمده الخليفة عبد الملك بن مروان بالجيش لاعادة افريقية، وتخليص المسلمين من يد كسيلة[١].

ولكن هذه الرواية تتناقض في احداثها، فلو أن زهيرا انتصر فعلا على كسيلة، وشتت جموعه، فلماذا انسحب من القيروان الى لوبية ومراقية، ويقيم هناك فترة من الزمن، حتى يمده الخليفة عبد الملك بالجيش. ويأمره باسترداد القيروان؟ .

اما الرواية الثانية التي يتفق عليها معظم المؤرخين، فتشير الى ان العرب في القيروان انقسموا الى فئتين عندما سمعوا نبأ فاجعة تهوذه: الاولى، بقيادة زهير بن قيس البلوى، الذي فضل البقاء في القيروان، والدفاع عنها، والوقوف بوجه كسيلة، فأما الشهادة، واما النصر، والفئة الثانية بقيادة حنش الصنعاني[٢]، وقد ضمت الاغلبية،

---

(١) المالكي: ١/٢٨، ٢٩، الدباغ :١/٥٦، ٥٧ .

(٢) حنش الصنعاني: هو حنش بن عبد الله بن عمرو بن حنظلة، يكنى بأبي الرشيد، أو ابي رشدين، من صنعاء دمشق، تابعي كبير ثقة، روى عن ابي هريرة، وعبد الله بن عباس، ورويفع بن ثابت، غزا المغرب، وسكن افريقية، وتوفى فيها سنة ١٠٠ هـ/٧١٨م .

انظر :الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٠٢، الضبي، بغية الملتمس، ص٢٦٣، العسقلاني، تهذيب التهذيب (الهند: ١٣٢٠هـ):٣/٥٧، ٥٨، لأنصاري، خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال (بيروت:١٩٧٩)، ص٩٥، ٩٦، التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (بيروت: ١٩٦٨): ١/٢٦٠ .

وفضلت الانسحاب من القيروان، الى مصر، وقد اضطر زهير الذي لم يبق معه سوى أهل بيته، ونفر قليل من المسلمين الى الانسحاب، وسار الى برقة، وأقام فيها مرابطا[1]. وأقبل كسيلة بقواته نحو القيروان، واستولى عليها، من دون قتال لأن انسحاب الجيش العربي ساعد كسيلة على دخول المدينة بسهولة، اذ لم يبق فيها سوى الضعفاء من العرب، لاسيما الشيوخ والاطفال والنساء[2]، وكذلك أهل الذمة[3]، وجماعات كبيرة من مسلمي البربر، الذين كانوا يشكلون الاغلبية في القيروان[4]، وقد استأمن هؤلاء كسيلة، فامنهم، وقد استمرت سيطرته على القيروان قرابة اربع سنوات من (٦٥-٦٩هـ/٦٨٤-٦٨٨م)، مارس خلالها سلطته أميرا على افريقية والمغرب كله[5].

اما عن طبيعة العلاقة بين كسيلة والبيزنطيين في هذه الفترة، فلا تتوفر عنها معلومات في مصادرنا، ولكن يمكن استنتاج وجود نوع من التفاهم والتقارب بين الطرفين، حيث كان كل منهما راضيا من الموقف الملائم الذي اوجدته ظروف احتلال القيروان، وإبعاد الجيش العربي الاسلامي عن افريقية[6].

وقد ساعدت ظروف الخلافة في المشرق كسيلة على الاستمرار في سيطرته على القيروان هذه المدة الطويلة، فقد كان الامويون يعانون من مشكلات سياسية بعد وفاة الخليفة يزيد وابنه معاوية الثاني، وانتقال الخلافة الى الفرع المرواني، على أثر معركة مرج راهط سنة ٦٤هـ/٦٨٣م. ولم يستمر مروان بن الحكم في الحكم طويلا، فقد وافته المنية سنة ٦٥هـ/٦٨٤م، وانتقلت الخلافة الى ابنه عبد الملك بن مروان، الذي انشغل بالعديد

---

(١) الورتيلاني، ٩٨، ٩٩، ابن الاثير، الكامل: ١٠٨/٤، ابن عذارى: ٣١/١، ابن خلدون، العبر: ١٨٦/٤، ابن ابي دينار، ص٣٢.

(٢) المالكي: ٢٨/١، الورتيلاني، ص٩٩، ابن الأثير، الكامل: ١٠٨/٤، الدباغ: ٥٥/١، ابن ابي دينار، ص٣٢، النويري: ١٧/٢٢، قد٢.

(٣) الدباغ: ٥٥/١.

(٤) المالكي: ٣٠/١، الدباغ: ٥٧/١، ٥٨، ابن عذارى: ٣٢/١، وقارن :طه، الفتح والاستقرار، ١٣٠.

(٥) ابن عذارى: ٣١/١.

(٦) انظر: طه، الفتح والاستقرار، ص١٣٠.

من المشكلات الداخلية، لاسيما مطالبة ابن الزبير بالخلافة، ولكن بعد استتب وضع الخلافة، ادرك الخليفة عبد الملك بن مروان اهمية المغرب، وضرورة استعادة ما فقده العرب هناك، لاسيما القيروان، وقد وقع الاختيار على زهير بن قيس البلوى، الذي عين واليا على افريقية سنة ٦٩هـ/٦٨٨م، لتنفيذ هذه المهمة[١].

سادسا: تقويم حملة عقبة بن نافع:

لقد جاء عقبة بن نافع الى افريقية، للمرة الثانية، بتصور وتطيط مغايرين، لما كانت عليه الحال هي أثناء توليه شؤونها للمرة الاولى، فقد تركز جل اهتمامه هذه المرة في تحقيق سياسة الامويين، في توسيع رقعة الدولة العربية الاسلامية، الى أبعد نقطة ممكنة، في بلاد المغرب، ونشر الدين الاسلامي بين صفوف السكان المحليين، وتعليمهم مبادئه السمحة، وطرد النفوذ الاجنبي البيزنطي، الذي كان يتحكم بأوضاع المغرب السياسية والاقتصادية الاجتماعية، وقد اراد عقبة الى جانب ذلك اظهار قدراته، وامكاناته الذاتية في تحقيق هذه المهام الكبيرة، التي لم يتمكن من تحقيقها في فترة ولايته الاولى، بسبب عزله المفاجيء.

وقد اشارت احدى الدراسات الحديثة الى طبيعة حملة عقبة بن نافع على المغرب الاقصى، فذكرت أنها كانت أقرب الى الغارة الضخمة، منها الى الفتح المنظم، حيث لم يكن لديه خطة مرسومة وواضحة، بل كانت تحكمه العاطفة الدينية والحماسة في محاربة المشركين، ونشر الاسلام، او نيل الشهادة، من أجل هذه الغايات، وقد تبين ذلك من خلال تماديه في المسير، وتوغله العميق في فتوحاته، وعدم تأمينه لخطوط مواصلاته الطويلة، من أجل تزويد جيشه، بالمؤن والمعدات العسكرية، بين مركزا انطلاقه في القيروان، حتى ساحل المحيط الاطلسي، وعلى الرغم من الانتصارات التي استطاع ان يحققها في العديد من المعارك العسكرية، الا ان تلك الانتصارات لم تكن معارك حاسمة ونهائية، فقد ترك العدو متحصنا، في كثير من المدن ن دون ان يفتحها، كما ان صراعه مع كسيلة، الذي انقلب ضده، وتحالف مع البيزنطيين، أفقده حليفا مهما ن كان من الممكن

---

(١) المالكي: ٣٠/١، ابن الاثير، الكامل: ١٠٨/٤، الدباغ: ٥٧/١، ابن عذارى: ٣١/١، النويري: ١٨/٢٢، قد٢.

ان يحقق به الشيء الكثير، لكنه بدلا من ذلك اصبح عدوه الرئيس، وهو الذي قضى على عقبة وجزء من جيشه، بل واحتل مدينة القيروان، مركز انطلاقه، وقاعدة العرب العسكرية، في شمال افريقيا[1].

وهناك دراسة اخرى، تناقض الاولى في المآخذ التي اوردتها، حول عدم امتلاك عقبة لخطط عسكرية واضحة، أشارت الى ان عقبة كان يملك خطة عسكرية، سار بموجبها في اعماله العسكرية، فهو لم يغفل عن تأمين خطوط مواصلاته الطويلة، بل أنه قد وضع الحاميات في المراكز المهمة، مثل المدن، والقرى الكبيرة، واماكن عبور الانهار، لأن خطوط المواصلات التي تربط القاعدة الرئيسية بالجبهة، هي الشرايين، التي اذا لم تؤمن بكل دقة لتتدفق عليها وبوساطتها الامدادات والمؤن، والقضايا الادارية، لكان مصير القائد وقواته الفناء الاكبر، ولا يمكن لأي قائد عسكري ان يغفل هذا الامر فكيف يغفل عنه قائد مثل عقبة، كما ان ترك عقبة لبعض المدن، دون افتتاح، يعود الى خشيته من تعطيل قواته في حصارها، وتضييع الوقت، وحرمانه من تحقيق أهدافه الاخرى، ولحماية ظهر جنده من العدد المتحصنين في هذه المدن، ولابد ان عقبة قد خصص قوات مناسبة لمراقبة تحركاتها، ومنعها من قطع خطوط مواصلات امداداته، ولولا امتلاك عقبة لخطة عسكرية، لما استطاع ان يحقق انتصارات باهرة ومتوالية، في وقت قصير[2].

وعلى اية حال، وعلى الرغم من احترامنا لوجهات النظر التي جاءت في كل من الدراستين المشار اليهما آنفا، يمكن القول ان اهداف، عقبة وطموحاته لم تكن تتناسب وامكانياته، ووسائله العسكرية، كما ان الظروف الصعبة التي احاطت بحملته الكبرى، كانت اكبر من امكانية احتوائها وتسخيرها لخدمة اهدافه، وعلى الرغم من اخفاق هذه الحملة في الجانب العسكري، مما أدى في النهاية الى القضاء على عقبة، وجزء من جيشه وسقوط القيروان، بيد كسيلة، وضياع جهود العرب المسلمين الفاتحين، وما تم تحقيقه، من فتوحات خلال اربعين عاما، الا انها وعلى المدى البعيد، أظهرت نتائج ايجابية كبيرة، بدت واضحة فيما بعد، وقد مهدت الطريق للقادة الذين جاءوا بعد عقبة، من أجل اعادة فتح

---

(١) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤ .

(٢) محمود شيت خطاب، عقبة بن نافع الهري، ص١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢ .

اقطار المغرب وأمصارها ثانية، وذلك بأن يفيدوا افادة كبيرة من تجربة عقبة، في التعرف والحصول على معلومات، تتضمن معرفة طبيعة الأرض، ومداخلها، ومسالكها، وضواحيها، وطبيعة السكان، وأجناسهم، ومزاياهم، ميولهم، وأساليب قتالهم، ونوعية تسليحهم، وعدد حصونهم وقوتها، ومعرفة مواطن القوة والضعف فيهم، وهذا هو ما أدى الى نجاحهم، في تحقيق كافة الاهداف التي استشهد عقبة من اجل تحقيقها[1].

ومن جهة اخرى فعلينا ألا نضع اللوم على عقبة، في نكسة الفتح الاسلامي، وخروج البلاد من طنجة الى القيروان، بل علينا ان نلقي بعض اللوم، والمسؤولية على قوات الجيش الموجود في القيروان، والتي لم تصمد في وجه كسيلة وقواته، وآثرت الانسحاب على المقاومة[2].

سابعا : دور عقبة بن نافع في نشر الاسلام واللغة العربية :

لم تكن غاية العرب المسلمين من فتح بلاد المغرب، السيطرة، واستغلال السكان، وسلب اموالهم، وامتصاص خيراتهم، بل كان هدفهم الاسمى هو نشر الاسلام، واعلاء كلمة الله، ومن هنا يأتي دور عقبة بوصفه أحد القواد الفاتحين، الذين تميزوا بدورهم الكبير، وعملهم الدؤوب، المخلص، في سبيل نشر الاسلام والتعريب، فالمصادر تشير الى أنه كان رجلا زاهدا متصوفا، بعيدا عن الحياة السياسية وتياراتها، همه الوحيد هو الجهاد في سبيل الله، ويعد عقبة من أوائل قادة فتح المغرب، الذين نشروا الاسلام، واللغة العربية، في شمال افريقيا، وقد ابتدأت جهوده منذ سنة ٢١هـ/٦٤١م، عندما قام عمرو بن العاص، بارساله لفتح زويله، فاجتهد ونجح في نشر الاسلام، بين السكان المحليين، وقد أشار البلاذري الى ذلك بقوله: "ولى [عمرو بن العاص] عقبة بن نافع الفهري المغرب، فبلغ زويلة، وأن من بين زويلة وبرقة، مسلم كلهم حسنة طاعتهم قد أدى مسلمهم الصدقة، وأقر معاهدهم بالجزية ..."[3].

---

(١) قارن :المرجع نفسه، ص١٥١ .

(٢) قارن :بمحمد محمد زيتون، الفتح الاسلامي لشمال افريقية، ص٧٤ .

(٣) فتوح البلدان، ص٢٢٦ .

وعندما انسحب عمرو بن العاص الى مصر، ترك عقبة مقيما في هذه النواحي الصحروايه، اكثر من ربع قرن، متنقلا بين قبائلها، يدعوهم الى الاسلام، شارحا لهم مبادئه وعظمته، وقد أثرت شخصية عقبة ودعوته في نفوسهم فاقبلوا على الدخول في الدين الجديد، لهذا فقد كان عقبة خير داعية، ومن أحسن من تتجسد في شخصه حقيقة الاسلام[1].

وفي اثناء ولايته الاولى لافريقية، نجد العديد من النصوص التي تدل على انتشار الاسلام، على يدي عقبة، فقد كان لبناء القيروان الدور الكبير والفعال في هذا الامر، وقد سبقت الاشارة الى ان احد الاسباب المهمة التي دعت عقبة الى بناء القيروان هو جعلها قاعدة لنشر الاسلام، فكانت تعمل على جذب القبائل المجاورة لها، وأخذ هؤلاء يقتربون من العرب المسلمين، ويختلطون بهم، وقد أدى هذا التمازج والاختلاط، الى اطلاع السكان المحليين على الاسلام، ومبادئه السمحة، وأخلاقه النبيلة، وذلك من خلال تعاملهم مع العرب المسلمين، ودعوتهم لاعتناقه، فوجدوا في انفسهم هوى للاقبال عليه، والدخول فيه، بل ونشره والدفاع عنه، وذلك من خلال الانضمام تحت رايته الحكم العربي، وتجنيد انفسهم الى جانب المقاتلين العرب، ومشاركتهم في فتوحاتهم[2]. وهكذا اصبحت القيروان بالنسبة للعرب المسلمين كما يقول الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب: "قاعدة لبث لسانهم ومباديء دينهم القيم"[3].

وقد حرص عقبة في ولايته الثانية على نشر الاسلام، في اصقاع كثيرة، في المنطقة الممتدة بين القيروان والمحيط الاطلسي، فقد أقام في اثناء حملته الكبرى بعض المساجد البسيطة، في العديد من المناطق، من أجل ان تكون مراكز لبث الاسلام ونشره، منها على

---

(١) حسين مؤنس، فزان ودورها في انتشار الاسلام في افريقية، مجلة كلية الاداب في ليبيا، العدد الثالث، ١٩٦٩، ص٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١ .

(٢) ابن حزم، جوامع السيرة، تحقيق احسان عباس، ناصر الدين الأسد، مراجعة احمد محمد شاكر (مصر: بدون تاريخ)، ص٣٤٤، ابن الاثير، الكامل: ٤٦٦/٣ .

(٣) ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية: ٢٥/١ .

سبيل المثال ما أنشأه في مدينة درعة[1]، ونفيس[2]، وايجلي[3]، وماسة[4]، بالاضافة الى ذلك، فقد ترك في المغرب الاقصى، العديد من اصحابه، ومنهم شاكر الذي سمي الموضع الذي نزل فيه باسم رباط شاكر[5]. وتقدم مأسلة تهوذة دليلا آخر على مدى انتشار الاسلام، بين قبائل البربر، فلو لم يعمل عقبة، وغيره من القادة على نشر الاسلام، بين هؤلاء السكان المحليين، لكان مصير العرب المسلمين بعد معركة تهوذة مهددا بالفناء، ففك الاسرى العرب من ايدي كسيلة، وارسالهم الى زهير بن قيس البلوي، في القيروان، من قبل ابن مصاد، صاحب قفصة[6]، دليل على انتشار الاسلام، بين بعض قبائل البربر، وكذلك فقد أشار المالكي الى ان افريقية انقلبت نارا بعد دخول كسيلة القيروان[7]، وهذا يدل على قيام ثورة عظيمة ضد كسيلة، وان الذين قاموا بها ما هم الا من مسلمي البربر، لأن القوات العربية كانت قد انسحبت من القيروان الى مصر وبرقة[8].

وقد انتشرت اللغة العربية جنبا الى جنب مع انتشار الاسلام، فهي لغة الدين وقرآنه، وكان اقبال السكان المحليين على الاسلام، يعني اقبالهم على تعلم اللغة العربية، والا فكيف يقرأون القرآن، ويتعرفون على شرائع الاسلام، كما كان لاستقرار العرب بعد بناء القيروان، واختلاط السكان المحليين بهم، أثره الكبير في تعريب المجتمع المغربي، وهكذا يلاحظ ان الأسباب التي ساعدت على انتشار الاسلام، هي نفس الاسباب التي ساعدت على انتشار اللغة العربية[9].

---

(١) عبيد الله بن صالح، ص٢٠٧، ٢٠٨ .

(٢) ابن عذارى: ٢٧/١ .

(٣) البكري، المغرب، ١٤٢، ابن عذارة: ٢٧/١ .

(٤) المالكي: ٢٦/١ .

(٥) ابن عذارى: ٤٢/١ .

(٦) انظر: الورتيلاني، ص٩٨، ابن عذارى: ٢٩/١، ابن خلدون، العبر: ١٤٧/٦ .

(٧) رياض النفوس: ٢٨/١ .

(٨) قارن :بمؤنس، فتح العرب للمغرب، ص٢٠٧، محمود شيت خطاب، عقبة بن نافع الفهري، ص١٤٩ .

(٩) شكري فيصل، المجتمعات الاسلامية في القرن الاول، ص١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الخاتمة

نستطيع أن نؤكد أن ابرز نتائج البحث تجسدت في الامور الاتية :

١- ان طبيعة المغرب العربي والتنوع الجغرافي فيه، قد شكل عامل اعاقة وتأخير اندفاع المحررين العرب المسلمين اليه، وجعلهم يصطدمون بحواجز جغرافية لا تتجانس مع طبيعة ارضهم سابقا، مما جعل التحرير يستغرق زمنا طويلا قياسا لتحرير العرق والشام، ومصر.

٢- ان التشكيل الاجتماعي لدى السكان المحليين وطبيعتهم الاجتماعية، ونمط حياتهم القبلي، قد جعل منهم مقاتلين محبين للفردية، بحيث واجه العرب صعوبة بالغة في التعامل معهم، الامر الذي أخر عملية التحرير.

٣- ان غياب مركز استقرار عربي اسلامي ثابت في المغرب، يثبت الارض، ويكون قاعدة انطلاق لاكمال التحرير، شكّل في مراحل معينة من التحرير عائقا في العمل العسكري، ولم يتح للعرب المسلمين الامكانية لتحقيق أهدافهم، ولا ريب أن اختلاف سياسة الدولة مركزيا، نظرا لاختلاف توجه كل خليفة قد انعكس بدوره على هذا التأخير، وأسهم مع الارباك السياسي والفتن الداخلية في تعطيل التحرير العربي للمغرب .

٤- ان تأسيس وبناء مدينة القيروان كان استجابة عملية وخطوة سليمة لمجال تحرير المغرب، فقد كان هدف عقبة في بناء القيروان هو تثبيت السيادة العربية، وجعلها مركز استقرار سكاني، وانطلاق عسكري لتكون مركز لنشر مبادىء الاسلام، وآداب العرب، وثقافتهم ولغتهم بين السكان المحليين .

٥- ان عزل عقبة بن نافع في ولايته الاولى جاء نتيجة سياسة خاصة بـوالي مصر، ولم يكن بسبب خطأ ارتكبه عقبة بن نافع على مستوى السياسة والادارة .

٦- قام عقبة في ولايته الثانية بنشر الاسلام بين صفوف السـكان المحليـين عن طريق الدعوة المباشرة، وبنـاء المسـاجد في المنـاطق المحـررة، ووضـع بعض المسلمين المتفقـهين في الديـن لتعليـم السـكان أصـول الديـن الحنيف، ومن الطبيعي ان يقترن نشر الاسـلام بنشـر الثقافـة العربيـة للعلاقة الدقيقة بين الاثنين .

٧- ان سياسة عقبة العنيفة لم تكـن موجهـة ضـد السـكان المحليـين، بـل استهدفت بعض زعمائهم مثل كسيلة الـذي يبـدو ان عقبـة لم يكـن راضياً عنه ن وكان يشك في نياته، ولقد أثبتت الاحداث اللاحقة صدق حدس عقبة، فقد تحالف كسيلة من البيزنطيين وترك دينه، ووقف ضـد العرب المسلمين، ولو كان مخلصا لحـاول ان يحـل خصومتـه مـع عقبـة بالالتجاء الى مركز الدولة لايضاح المشكلة.

٨- ان تأخر تنفيذ خطة مركزية لتحرير المغرب من قبل الخلافة والتنسـيق مع الولاة في مصر، واختلاف سياسة عقبة عن سياسة ابي المـهلجر قـد انعكس بدوره سلبا في التعامل مع السكان المحليين وقادتهم، مما أدى الى تأخير تحرير المغرب .

٩- كانت طموحات عقبة وأهدافه كبيرة، ولم تكـن الوسـائل المهيئـة لـه، والمتاحة تؤهله لانجاز تلك الاهداف .

١٠- على الرغم من استشهاد عقبة، وخرج العرب المسلمين من افريقية، الا ان نتائج هذين الحدثين على المستوى البعيد كانت واضحـة ومؤثـرة، فقد مهدت تجربة عقبة في افريقية الطريق للقادة الذين اعقبـوه لاعـادة الوجود العربي الاسلامي للمغـرب، ومعطياتـه الدينيـة والحضاريـة، وتحقيق الاهداف التي استشهد عقبة في سبيلها .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

حملة عقبة بن نافع
في
المغرب الأوسط والأقصى

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

جريدة
المصادر والمراجع

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

جريدة المصادر والمراجع

أولا : المصادر الاصلية :

أ - المخطوطات :

- البلخي، ابو زيد احمد بن سهل (ت : ٣٢٢ هـ / ٩٣٣م)

١- صورة الاقاليم، مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا لكلية الاداب، رقم ٣٢٩ .

- مجهول المؤلف :

٢- الدرّة النثيرة في اخبار الجزيرة، مخطوطة في المكتبة الوطنية في تونس، رقم ١٨٤٠٧ .

ب - المصادر العربية المحققة والمنشورة :

- ابن الابار، محمد بن عبد الله (ت : ٦٥٨هـ/١٢٥٠م)

٣- التكملة لكتاب الصلة، جزءان، نشر: عزت العطار، القاهرة ١٩٥٥ - ١٩٥٦.

٤- الحلة السيراء، جزءان، تحقيق: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣ .

- ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي ابن ابي الكرم (ت : ٦٣٦هـ/١٢٣٢م)

٥- أسد الغابة، ٥ أجزاء، طهران، بدون تاريخ .

٦- الكامل في التاريخ، ١٢ جزء، دار صادر، بيروت، ٦٥-١٩٦٦ .

- الادريسي، أبو عبد الله محمد (ت: ٥٦٠هـ/١١٦٤م)

٧- صفة المغرب وأرض السودان والاندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٨.

- الاصطخري، أبو اسحاق، ابراهيم، (ت: نهاية القرن الرابع)
٨- الاقاليم، نشر مويلير، جوته، ١٨٣٩ .
٩- المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحيني، ومراجعة: محمد شفيق غربال، دار القلم، القاهرة، ١٩٦١ .

- الاندلسي، محمد بن محمد (ت: ١١٤٩هـ/١٧٣٦م) .
١٠- الحلل السندسية في الاخبار التونسية، تحقيق: محمد الحبيب السهيلة، الدار التونسية، تونس، ١٩٧٠ .

- الانصاري، الحافظ صفي الدين احمد بن عبد الله (ت: ٩٢٣هـ/١٥١٦م) .
١١- خلاصة تذهيب الكمال في اسماء الرجال، مكتبة المطبوعات الاسلامية، بيروت، ١٩٧٩.

- الانصاري، شمس الدين عبد الله (ت: ٧٢٧هـ/١٣٢٦م)
١٢- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، باعتناء لايبزك، ١٩٢٣، أعيد طبعه بالاوفست، مطبعة المثنى، بغداد .

- البكري، ابو عبيد (ت: ٤٨٧ هـ/١٠٩٤م)
١٣- معجم ما استعجم، ٤ اجزاء، تحقيق : مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٩ .
١٤- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك، نشر دي سلان، الجزائر، ١٨٥٧ .

- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م) .
١٥- أنساب الاشراف، الجزء الاول، تحقيق: محمد حميد الله، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٩ .

١٦- فتوح البلدان، مراجعة وتعليق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨ .

- التجاني، عبد الله بن محمد (ت: القرن الثامن الهجري/القرن الربع عشر الميلادي) .
١٧- رحلة التجاني، تحقيق : حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، تونس ١٩٥٨ .

- ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية (ت: ٢٤٥هـ/٨٥٩م) .
١٨- المحبّر، برواية ابي سعيد الحسن بن الحسين السكري، دار الافاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ .

- ابن حزم، علي بن احمد، (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) .
١٩- جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١ .
٢٠- جوامع السيرة، تحقيق: احسان عباس، وناصر الدين الاسد، ومراجعة: احمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ .

- الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .
٢١- معجم الادباء، ٢٠ جزء، دار المستشرق، بيروت، بدون تاريخ .
٢٢- معجم البلدان، ٥ اجزاء، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧ .

- الحميدي، محمد بن ابي نصر (ت: ٤٨٨ هـ/١٠٩٥م) .
٢٣- جذوة المقتبس، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦ .

- الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٤م)
٢٤- الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق : احسان عباس، دار القلم، بيروت، ١٩٧٥ .

- ابن حوقل، محمد (ت: ٣٨٠هـ/٩٩٠م) .
٢٥- صورة الارض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩ .

- ابن خرداذبة، عبيد الله بن عبد الله (ت: ٣٠٠هـ/٩١٢م) .
٢٦- المسالك والممالك، نشر: دي غويه، ليدن، ١٨٨٩ .

- ابن الخطيب، لسان الدين محمد (ت: ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) .
٢٧- أعمال الاعلام، القسم الثالث، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق : احمد مختار العبادي، ومحمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤.

- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) .
٢٨- العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٧ أجزاء ن منشورات الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١ .
٢٩- المقدمة، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ .

- ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م) .
٣٠- وفيات الاعيان، ٨ أجزاء، تحقيق: احسان عباس ن دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ .

- الدباغ، عبد الرحمن بن محمد الانصاري (ت: ٦٩٦هـ/١٢٩٦م) .
٣١- معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه ابو الفضل ابو القاسم ناجي التنوخي، تصحيح وتعليق: ابراهيم شيوح، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٦٨ .

- الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت: ٩٩١هـ/١٥٨٣م) .
٣٢- تاريخ الخميس في احوال أنفس نفيس، المطبعة الموهبية، مصر، ١٩٠٥ .

- ابن ابي دينار، محمد بن القاسم القيرواني (ت: ١٠٩٢هـ/١٦٨١م) .
٣٣- المؤنس في اخبار افريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ١٣٧٨هـ .

- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) .
٣٤- تجريد أسماء الصحابة، الناشر، شرف الدين الكتبي واولاده، بومباي، الهند، ١٩٦٩ .
٣٥- دول الاسلام، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، محمد مصطفى ابراهيم، مطابع الهيئة المصرية، القاهرة، ١٩٧٤ .
٣٦- سير أعلام النبلاء، تحقيق : محمد نعيم العرقوسي، ومأمون صاغرجي، مؤسسة الرسالة، وشركة الغجر العربي، بيروت، بدون تاريخ .
٣٧- العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٠ .

- الرقيق القيرواني، ابو اسحق ابراهيم (ت: ٤١٧هـ/١٠٢٦م) .
٣٨- تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق: المنجي الكعبي، الناشر: رفيق السقطي، تونس، ١٩٦٧.

- الزبيدي، محمد مرتضى (ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) .
٣٩- تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة ن بيروت، المطبعة الخيرية، والمنشأة الجمالية، مصر، ١٣٠٦هـ .

- الزركلي، خير الدين
٤٠- الاعلام، ١١ جزء، بيروت، ١٩٦٩ .

- الزهري، ابو عبد الله محمد (ت: اواسط القرن السادس الهجري/اواسط القرن الثاني عشر الميلادي) .
٤١- كتاب الجغرافيا، تحقيق: محمد حاج صادق، مجلة الدراسات الشرقية، م٢١، دمشق ١٩٦٨ .

- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) .
٤٢- كتاب الجغرافيا، تحقيق: اسماعيل العربي، المكتب التجاري، للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠ .

- السلاوي، احمد بن خالد الناصري (ت: ١٣١٩هـ/١٩٠١م) .
٤٣- الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، ٩ أجزاء، تحقيق : جعفر الناصري، ومحمد الناصري، الدار البيضاء، ١٩٥٤.

- السمعاني، عبد الكريم بن محمد (ت: ٥٦٢هـ/١١٩٦م) .
٤٤- الانساب، الجزء الثامن، تحقيق: محمد عوامه، الناشر: محمد امين دميح، بيروت، بدون تاريخ .
٤٥- الانساب، الجزء التاسع، تحقيق: محمد عوامه، ورياض مراد، الناشر، محمد امين دميح، بيروت، ١٩٨١ .

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م) .
٤٦- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، ١٩٧٩ .

- الضبي، احمد بن يحى (ت: ٥٩٩هـ/١٢٠٢م) .
٤٧- بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس، نشر فرنسسكو كوديرا، مطبعة روخس، مدريد، ١٨٨٤ .

- الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م) .
٤٨- تاريخ الرسل والملوك، ١٠ اجزاء، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠ .

- ابن عبد البر، ابو عمر يوسف (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) .
٤٩- الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ٥ أجزار، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، الفجالة، القاهرة، ١٩٦٠ .

- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت: ٢٥٧هـ/٨٧٠م) .
٥٠- فتوح افريقية والاندلس، تحقيق: عبد الله انيس الطباع، مكتبة المدرسة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٤ .
٥١- فتوح مصر وأخبارها، نشر، شارلس توري، نيو هيفن، ١٩٢٢ .
٥٢- فتوح مصر والمغرب، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦١ .

- العبدري، محمد بن محمد (من كتّاب القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) .
٥٣- رحلة العبدري المسماة بالرحلة المغربية، تحقيق: محمد الفاسي، وزراة الدولة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي، الرباط، ١٩٦٨ .

- عبيد الله بن صالح، عبيد الله بن صالح بن عبد الحليم (ت: القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) .

٥٤- نص جديد عن فتح العرب للمغرب، تحقيق : ليفي بروفنسال، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، العدد الثاني، ١٩٥٣، ص١٩٣ - الى ٢٣٩ .

- ابن عذارى، ابو العباس أحمد بن محمد (ت: ٧١٢هـ/١٣١٢م) .

٥٥- البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، ٤ أجزاء، تحقيق: ج. س كولان، وليفي بروفنسال، ليدن، ١٩٨٤، وأعادت نشرة، دار الثقافة، بيروت، بدون تأريخ .

- ابن عساكر، علي بن الحسن (ت: ٥٧١هـ/١١٧٥م) .

٥٦- تهذيب تاريخ دمشق الكبير، تهذيب وترتيب : عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩ .

- ابو العرب، محمد بن احمد (ت: ٣٣٣هـ/٩٤٤م) .

٥٧- طبقات علماء افريقية وتونس، تحقيق: علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨ .

- العسقلاني، ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) .

٥٨- الاصابة في تمييز الصحابة، ٨ أجزاء، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة مصر ومطبعتها بالفجالة، القاهرة، بدون تاريخ .

٥٩- تهذيب التهذيب، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٥هـ .

- ابن العماد، ابو الفلاح عبد الحي (ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) .
٦٠- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ٨ أجزاء، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ .

- المصري، احمد بن يحى (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) .
٦١- وصف افريقية والمغرب والاندلس، مقتطف من كتاب مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة النهضة، تونس، بدون تاريخ.

- ابو الفدا، عماد الدين اسماعيل (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م) .
٦٢- تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠ .
٦٣- المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، بدون تاريخ .

- ابن الفقيه، ابن الفقيه الهمداني (ت: ٢٨٩هـ/٩٠١م) .
٦٤- مختصر كتاب البلدان، نشر : دي غريه، ليدن، ١٨٨٥ .

- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: ٨١٦هـ/١٤١٣م) .
٦٥- القاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بدون تاريخ .

- قدامة الملاح: قدامة بن جعفر (ت: ٣٢٩هـ/٩٤٠م) .
٦٦- الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١ .

- القزويني، زكريا محمد بن محمود (ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) .
٦٧- آثار البلاد وأخبار العباد ن دار صادر ن دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠ .

- القلقشندي، احمد بن علي (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م) .
٦٨- صبح الاعشى في صناعة الانشا، ١٤ جزء، مطابع كوستا توماس، وشركاؤه، القاهرة، ١٩٦٣ .
٦٩- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٣.

- قنفذ، احمد بن قنفذ (ت: ٨١٠ هـ/١٤٠٧م)
٧٠- الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١ .

- ابن كثير، ابو الفداء (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) .
٧١- البداية والنهاية، ٤ أجزاء، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٤ .

- ابن الكردبوس، عبد المالك (ت: ٥٧٣هـ/١١١٧م) .
٧٢- الاكتفاء في اخبار الخلفاء، تحقيق: احمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، العدد الثالث عشر، مدريد، ١٩٦٥-١٩٦٦، ص٤١-١٢٦.

- الكندي، محمد بن يوسف (ت: ٣٥٠هـ/٩٦١م) .
٧٣- الولاة والقضاة، مهذب ومصحح بقلم رفن كست ن مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨ .

- المالكي، ابو بكر عبد الله (ت : نهاية القرن الرابع الهجري/القرن العاشر الميلادي) .
٧٤- رياض النفوس، الجزء الاول، تحقيق : حسين مؤنس ن مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١ .

- مجهول المؤلف .
٧٥- اخبار مجموعة، تحقيق : ابراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١.

- مجهول المؤلف (من كتّاب القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) .
٧٦- الاستبصار في عجائب الامصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الاسكندرية، ١٩٥٨.

- مجهول المؤلف.
٧٧- ابو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغرى بردى (ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) .
٧٨- النجوم الزاهرة من ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٥٦ .

- المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت: ٦٤٧هـ/١٢٤٩م).
٧٩- المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٩ .

- المسعودي، علي بن الحسين (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م) .
٨٠- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٤ أجزاء، دار الاندلس، بيروت، ١٩٧٣ .

- المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت: الربع الاخير من القرن الرابع الهجري/ الربع الاخير من القرن العاشر الميلادي).
٨١- أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، نشر: دي غوية، ليدن، ١٩٠٦ .

- المقدسي، مطهر بن طاهر (ت: القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) .
٨٢- البدء والتاريخ، ٦ أجزاء، باريس، ١٩١٦، أعادت مطبعة المثنى طبعه بالاوفست، بغداد .

- المقرى، احمد بن محمد (ت: ١٠٤١هـ/١٦٣١م) .
٨٣- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، ٥ أجزاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ .

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكّرم (ت: ٧١١هـ/١٣١١م) .
٨٤- لسان العرب، مطابع كوستاتو توماس، القاهرة، طبعة مصورة عن طبعة بولاق.

- النويري، احمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) .
٨٥- نهاية الارب في فنون الادب، الجزء الثاني والعشرون، القسم الثاني، نشرة وترجمة الى الاسبانية : جاسبار رامير وتحت عنوان: غرناطة، ١٩١٧ .

- الواقدي، محمد بن عمر، (ت: ٢٠٧ هـ/٨٢٢م) .
٨٦- فتوح الشام، جزءان، دار احياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ .
٨٧- المغازي، ٣ أجزاء، تحقيق : د. مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ .

- الورثيلاني، الحسين بن محمد (ت: ٥٨٩هـ/١١٩٣م) .
٨٨- نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٤ .

- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت : ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) .
٨٩- تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٩ .

- اليعقوبي، احمد بن يعقوب بن جعفر (ت: ٢٨٤هـ/٨٧٩م) .
٩٠- كتاب البلدان، نشر مع كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته، نشر: دي غويه، ليدن، ١٨٩٢ .
٩١- تاريخ اليعقوبي، قدم له وعلق عليه: محمد صادق آل بحر العلوم، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٧٣ .

ثانياً : المراجع الحديثة من كتب ومقالات :

أ - المراجع العربية :

- بازامة، محمد مصطفى .
٩٢- تاريخ ليبيا، الجزء الثاني، القسم الاول، مطبعة دار الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

- البرغوثي، عبد اللطيف محمود .
٩٣- تاريخ ليبيا الاسلامي من الفتح الاسلامي حتى بداية العصر العثماني، دار صادر، بيروت، ١٩٧١.

- بروكلمان، كارل .
٩٤- تاريخ الشعوب الاسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨ .

- بو عزيز، يحيى .
٩٥- الموجز في تاريخ الجزائر، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٥ .

- بيضون، ابراهيم .
٩٦- الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠ .

- جوليان، شارل اندري .
٩٧- تاريخ افريقيا الشمالية، الجزء الاول، ترجمة : محمد مزالي، والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٦٩ .

- الجوهري، سيدي عبد الرزاق .
٩٨- شمال افريقيا (دراسة جغرافية)، مطبعة م . ك، الاسكندرية، بدون تاريخ .

- حتى فيليب .
١٠٠- صانعو التاريخ العربي، دار الثقافية، بيروت، ١٩٨٠ .

- حركات، ابراهيم .
١٠١- المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، بدون تاريخ .

- حسن، حسن علي .
١٠٢- تاريخ المغرب العربي (عصر الولاة)، مكتبة الشباب، القاهرة، بدون تاريخ

- حقي، احسان .
١٠٣- تونس العربية، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ .
١٠٤- الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد، بيروت، ١٩٦١ .

- خطاب، محمود شيت .
١٠٥- عقبة بن نافع الفهري، دار الانسان، القاهرة، ١٩٧١ .

١٠٦- دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الثالث، ترجمة : محمد ثابت القندي وآخرون، القاهرة، ١٩٣٣ .

- دبوز، محمد علي .
١٠٧- تاريخ المغرب الكبير، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٩٦٤ .

- الدوري، عبد العزيز .
١٠٨- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٠ .

- الرفاعي، أنور .
١٠٩- الاسلام في حضارته ونظمه، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣ .

- الزاوي، الطاهر احمد .
١١٠- تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣ .

- زكار، سهيل .
١١١- عقبة بن نافع، مجلة تاريخ العرب والعالم، مجلة شهرية، السنة الثالثة، العدد الواحد والثلاثون، آيار، ١٩٨١ .

- زيادة، نقولا .
١١٢- صفحات مغربية، دار الطليعة، مطابع دار الغندور، بيروت، ١٩٦٦ .

- زيتون، محمد محمد .
١١٣- الفتح الاسلامي لشمال افريقيا، مجلة المؤرخ العربي، العدد، السادس عشر، القسم الاول، بغداد، ١٩٨١ .

- سالم، السيد عبد العزيز .
١١٤- تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس، دار المعارف، بيروت، ١٩٦٢ .
١١٥- المغرب الكبير، الجزء الثاني الدار القومية للطباعة والنشر، الاسكندرية، ١٩٦٦.

- سعدي، عثمان .
١١٦- الاصول العربية للبربر، مجلة آفاق عربية، السنة الخامسة، العدد التاسع، آيار، ١٩٨٠، ص٦-٢٥ .

- سعودي، محمد عبد الغني .
١١٧- الوطن العربي (دراسة جغرافية)، دار الرائد للطباعة القاهرة، ١٩٧٨ .

- السعيد، نعمة .
١١٨- المغرب العربي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩ .

- سيديو، ل . أ .
١١٩- تاريخ العرب العام، ترجمة : عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي، وشركاؤه، ١٩٦٩ .

- صقر، أحمد .
١٢٠- مدنية المغرب العربي في التاريخ، مطبعة العمل، تونس، ١٩٥٩ .

- طه، عبد الواحد ذنون .
١٢١- الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس، ميلانو- بغداد، ١٩٨٢ .

١٢٢- موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن شمال افريقيا، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الرابع، المجلد السادس والثلاثون ن كانون الاول، ١٩٨٥، ص٢٠١- ٢٦٢ .

- العبادي، احمد مختار .

١٢٣- في التاريخ العباسي والاندلسي، بيروت، ١٩٧٢ .

١٢٤- في تاريخ المغرب والاندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، بدون تاريخ.

- العبادي، عبد الحميد .

١٢٥- الجمل في تاريخ الاندلس، نسقه: ابراهيم الشريف، وراجعه: مختار العبادي، القاهرة، ١٩٥٨ .

- عبد الوهاب، حسن حسني .

١٢٦- خلاصة تاريخ تونس، مطبعة دار الفنون، تونس، بدون تاريخ .

١٢٧- ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية، الجزء الاول، مكتبة المنار، تونس، ١٩٦٤ .

- العدوي، ابراهيم احمد .

١٢٨- الامويون والبيزنطيون، الدار القومية، مصر، بدون تاريخ .

١٢٩- بلاد الجزائر تكوينها الاسلامي والعربي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠ .

١٣٠- المسلمون والجرمان، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٠ .

- ابن عبود، محمد بن عبد السلام .

١٣١- تاريخ المغرب، الجزء الاول، دار الطباعة المغربية، تطوان، ١٩٥٧ .

- فروخ، عمر .
١٣٢- تاريخ صدر الاسلام والدولة الاموية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩ .
١٣٣- العرب والاسلام في الحوض العربي من البحر الابيض المتوسط، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٥٩ .

- فكري، احمد .
١٣٤- المسجد الجامع بالقيروان، مطبعة المعارف، مصر، ١٩٣٦ .

- فيصل، شكري .
١٣٥- حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠.
١٣٦- المجتمعات الاسلامية في القرن الاول، مطابع اوفست كونروغرافير، بيروت، ١٩٧٣.

- كاهين، كلود
١٣٧- تاريخ العرب والشعوب الاسلامية، ترجمة: بدر الدين القاسم، دار الحرية، بيروت، ١٩٧٢ .

- كلوب، جون جابوت .
١٣٨- الفتوحات العربية الكبرى، ترجمة: خيري حماد، مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ .

- لوبون، غوستاف .
١٣٩- حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩ .

- لومبار، موريس .
١٤٠- الاسلام في مجده الاول، ترجمة وتعليق: اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤ .

- لويس، برنارد .
١٤١- العرب في التاريخ، ترجمة: نبيه أمين فارس، ومحمود يوسف زايد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٤ .

- ماجد، عبد المنعم .
١٤٢- التاريخ السياسي للدولة العربية، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٠ .

- المطوي، محمد العروسي .
١٤٣- سيرة القيروان، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨١ .

- موسى، لقبال .
١٤٤- المغرب الاسلامي، مطبعة البعث، قسطنطينة، ١٩٦٩ .

- الموسوي، مصطفى عباس .
١٤٥- العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢.

- مؤنس، حسين .
١٤٦- فتح العرب للمغرب، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٤٧ .
١٤٧- فجر الاندلس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩ .
١٤٨- فزان ودورها في انتشار الاسلام في افريقية، مجلة كلية الاداب في ليبيا، العدد الثالث، ١٩٦٩ .

- نتنج، انتوني .
١٤٩- العرب انتصاراتهم وأمجاد الاسلام، ترجمة: راشد البرواي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٤ .

- هنتس، فالتر .
١٥٠- المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، عمان، ١٩٧٠ .

المراجع الاجنبية :

1. Encyclopaedia of Islam, New edition, Leiden-Londodn, 1971.
2. Marcais, Sidi Uqba, Abul Mahajir Kusaila-caltiers de Tunisie, 1953, Vol. 1, pp.11-17 .
3. Levi-provencal, Un Neuveau Recit de la Conquet L' Afrique du Nerd par les Arabes, Arabica 1, pp. 17-43 .
4. Abun Nasr, Jamil, Ahistory of Maghrib Cambridge 1971.
5. R.G. Goodchild, Byzantines, Berbers and Arabs in 17th century Libya Antiquity, 1967, Vol. 41, pp. 115-123.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ABSTRACT

A study of the Arab west during the early period of the Muslim conquest is one of the rather stubborn assignments. That is probably due to the problem and crises which took place in that period and which has fallen far short of scientific study and objective analysis, particularly those problems and crises of historical importance during the first and the second term of the reign of the Muslim leader caqaba ibn Nafic al-Fahri .

Natives did not as usual mingle with the Muslim-Arabs when they first invaded their country. They have previously withstood many invaders such as the Vandals the Romans , and the Byzatine. Therefore , the task this time was not easy for the Muslim-Arabs. They are now faced with different natural environment that it is obligatary to face up mountains as well as irrascible and unyielding natives.

However, in the course of time, the natives stated to feel intimate. with the Muslims and admire them as they became increasingly aware of the similarities which set a strong bond friendship between them. Finally they found in Islam and its principles the Albany stone to which they have since adhered.

Later generations were told to carry on holding up the Muslim banner. On and on they moved acrose Gibralter to bring burope on its knees. But to the fortune of christendom they had only partially and temporarily succeeded.

The Muslim conquest of North Africa was the natural cutcome of their conquest of Egypt. Its importance ferives from the historical strong bends which related southwest Asia to North Africa through the political objectives ensueing the Muslim conquest of Byzantine Syria. Also through the religious objective to expand the domain of the Oslamic state. An objective which the Ummaiyda found very much concommitant with their imperial drive to hegemony .

Arabs came out successfully as Islam helped them to weld North Africa and southwest Asia in its all-enveloping melting pot.

Of the Byzantine Empire nothing remained to face the new comers. Only its bleached benes stood up the Mediterranean sky.

However, the study of North Africa during the reign of caqaba ibn Nafic Al-Fahri altogether his exploits and achievements is one of the key approaches which would shed much light on the period.

The role caqaba played was of a paramount importance that in early works on the cenquest of North Africa, we hardly bypass a chapter mentioning not his name. Therefore, a look in perspective at his political, military, administrative, and architectural achievements altogether with his nistinctive administration will highlight the historical phase during his rule.

The research work is divided into an introduction, four chapters, and a conclusion:

The First Chapter deals with the situation in North Africa from the geographical, political, and secio-ec onemic aspects before the Muslim breakthrough.

The second chapter handles the pioneering war efforts during the reign of the tow sucessive Caliphs: cumar ibn al-khatab and cuthman ibn caffan then during the reign of the Ummivad caliph Mucawiya ibn Abi-sufiyan.

The third Chapter has as its central topic of concern the first term of Caqaba's reign and his architectural feat of building the cirawan city, then the circumstances which caused his dismissal.

The fourth chapter brings to focus the second term of cuba's reign of North Africa including his conquest of the

middle and remote areas. Ending this chapter with an account of his martyrdem situation in Qairawan after his death, and his role in spreading Islam and Arabic among the natives of North Africa.

The research work culminates with the following results:

1. Geographically speaking, North Africa harbous uneven terrain which a barrier on the way of conquering Arabs. To surmount these barriers it took a longer period than it aid in the conquest of Iraq, Syria, and Egypt.
2. The defensinve meananisms and the diehard resistance of the matives did their best to withstand Arabs. It was only after main and might the Muslim arabs wewen North Africa.
3. The Muslim Arabs boing in an alien land , had the disadvantage of the lack of the springboard settlement from which they coud have monitore and remote-controlled their political and military objectives
4. Building the city of Qairawan was a very much sound measure because this city met the urgent need of a headquarters and a capitel from which religious teaching, linguistic impact and cultural influence reached out to all and every part of the Muslim West.

5. Dismissal of Gaqaba was mainly due to personal disputes with the ruler of Egypt and not to his local politics or administration .
6. Guqba helped greatly the introduction of Islam to these remote regions. His efferts in achiving this goal were multifarious varying from direct converting to indirect teaching such as building of Mosques and appointing clergy who did their best in spreading Muslim learning, Arabic Language and Arabic Literature.
7. Cuqba's adherence to violence and terror tactics was predominantly directed not against the natives but rather against their leaders who objected his religious and political designs.
8. The sources, means, facilities available at Cuqba's disposal were not commensurate with the sizable goals he set ahead to fullfil. Yet, despite his martyrdom and the expel of the Arabs from North Afria, his feats and achievements were never to be obliterated.

Many other Muslim Arab leaders held him as their ideal and pursued his lead in their efforts to re-establish Muslim culture and Arab objectives in North Africa .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المغرب العربي

في عهد عقبة بن نافع

دراسة تحليلية

الدكتورة نهلة شهاب أحمد

دار الكتاب
للنشر والتوزيع
الأردن - اربد - تلفاكس ٩٦٢-٢-٧٢٥٠٣٤٧
e-mail: daralkitab@excite.com